فتح الله الصمد

فى

تفسير سورة " المسد "

إعداد

أحمد حامد محمد سعيد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم المساعد

بقسم التفسير وعلوم القرآن الكريم

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية

جامعة الأزهر الشريف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ۝٥ ﴾ [المسد /١: ٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعـــــد ....

فهذا تفسير تحليلي لسورة " **المسد** " سميته : **(فتح الله الصمد في تفسير سورة " المسد ")** عرضت فيه لأمور عدة تتعلق بالسورة من حيث : أسماؤها ، وهل هي مكية أو مدنية ؟ أو زمان ومكان نزولها ، وعدد آيها وكلماتها وحروفها ، وفواصل آياتها ، وما ورد في فضلها ، وسبب نزولها ، ومناسبتها لما قبلها ، ومقاصدها وأغراضها ، وهذا ما جاء تحت عنوان **" بين يدي السورة "** .

ثم شرعت – بعد ذلك – في تفسير السورة آية آية ، فذكرت مناسبة بعض الآيات لما قبلها ، وبينت معاني الألفاظ والكلمات ، وأقوال العلماء في المراد منها ، وعرجت على ما ورد فيها من قراءات ، وما انطوت عليه من دقائق ولطائف ، وأسرار ومعارف ..... وذلك تحت عنوان **" تفسير السورة الكريمة "** .

ثم أعقبت التفسير بما ترتب على نزولها وعنونت له بـ **" آثار نزول السورة "** .

ثم بينت ما دلت عليه السورة بالنسبة لمصدر القرآن الكريم ، وذلك تحت عنوان : **" دلالة السورة على أن القرآن من عند الله ﷻ "** .

وبالنسبة لرسولنا محمد ﷺ وذلك تحت عنوان **" دلالة السورة على نبوة سيدنا محمد ﷺ "** .

ثم جليت بعض الأسرار البلاغية وعنونت لذلك بـ **" الأسرار البلاغية التي تشتمل عليها السورة "** .

وأخيرا : تحدثت عما في السورة من دروس وعبر – من وجهة نظرنا – وذلك تحت عنوان **" فقه السورة الكريمة "** .

وقد راعيت في ذلك سهولة التعبير ، وجودة الأسلوب ؛ حتى يفيد منه القارئ الكريم – إن شاء الله – دون مشقة أو عناء .....

وهاك بيان المنهج الذي سأسير عليه – بإذن الله تعالى –

* عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها ، وذكر رقم الآية .

* تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها الأصيلة ، حيث أذكر اسم الكتاب والباب، ورقم الجزء والصفحة ، والحكم على الحديث – إن وجد –

* عزو الآثار إلى قائليها ، وتوثيقها من مظانها .

* عزو القراءات القرآنية إلى قارئيها وتوجيهها .

* عدم التراجم للصحابة ، والرواة أو الأعلام ؛ إذ لا يخفى واحد منهم على متخصص ، لئلا ينشغل القارئ بالفرع عن الأصل ، والقشر عن اللباب ، وهذا أحد المناهج العلمية المتبعة في ذلك .

* ذكر اسم الكتاب ومؤلفه عند وروده أول مرة ، وترك ذكر الطبعة وسائر بيانات المؤلَّف لفهرس المراجع ؛ حتى لا تثقل الحاشية بما سيتكرر بعد .

* فهرس المراجع والمصادر .

* الفهرس العام لمحتويات البحث .

والله – تعالى – أسأل التوفيق والسداد ، والعون والرشاد .....

وهو حسبنا ونعم الوكيل .

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهّ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾(١) .

وصلى الله – تعالى – على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) هود / ٨٨ .

تمهيد

بين يدي السورة

جرى نهج المفسرين – قديما وحديثا – أن يذكروا عدة أمور أو نقاط – وهم بصدد تفسير سور القرآن الكريم أو بعض آيه – تعد تمهيدا وتوطئة لولوج غمار بحار تفسيرها ومعرفة لآلئها وكنوزها .....

وقد تباينت مناهجهم في ذلك ، فبعضهم يعرض لها على سبيل الإجمال ، وآخرون على سبيل التفصيل .....

وها نحن – أولاء – نسلك المنهج الوسط إبان عرضنا لهذه الأمور وتجليتها ، وذلك فيما يلي :

أسماء السورة :

ذكر المفسرون – رحمهم الله تعالى – للسورة أسماء ثلاثة ، هي : " سورة تبت "، " المسد " ، " أبو لهب أو اللهب " – وهما مترادفان –

بيد أن بعضهم ذكر لها اسما واحدا ، وهو : أنها تسمى بسورة " المسد "[١] ، أو "تبت "[٢] ، أو " أبو لهب "[٣] .

وذكر آخرون اسمين هما : " تبت " ، " أبو لهب "[٤] .

وغير هؤلاء وأولئك ذكر الأسماء الثلاثة : وهى " تبت " ، " أبو لهب " ، " المسد"[١].

---

(١) راجع : إرشاد العقل السليم على مزايا الكتاب الكريم لأبى السعود ٦ / ٤٨٤ ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسى ٢٩ / ٤٦٦ ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي ١٦ / ٧٥٠ ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشرى ٤ / ٨١٣ ، النكت والعيون للماوردى ٤ / ٥٦٠ ، لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٦ / ٥٢٨ ، معالم التنزيل للبغوى (بهامش لباب التأويل) ٦ / ٥٢٨ ، حاشيته زاده لشيخ زاده ٤ / ٧٠٦ .

(٢) راجع : جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١٢ / ٢١٧ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠ / ٢٣٤

(٣) راجع : أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (بهامش حاشية زاده) ٤ / ٧٠٦ .

(٤) راجع : الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للجمل ٤ / ٦٠٠ .

وفي التفسير المنير[٢] أنها تسمى بـ " المسد " ، أو " تبت " ، أو " اللهب " أو "أبولهب " – والأخيران مترادفان كما نوهنا – وعليه فأسماء السورة ثلاثة ، وليس غير ذلك .

ولا يخفي أن سبب تسميتها بهذه الأسماء هو ذكرها فيها ، وذلك في قوله –تعالى– ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[٣] وهذا سبب تسميتها بـ " تبت وأبى لهب أو اللهب " ، وقوله ﷻ : ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾[٤] وهذا سبب تسميتها بـ " المسد " .

وعرض الطاهر – رحمه الله – لهذه الأسماء وأبان عن رأيه فيها فقال : (سميت هذه السورة في أكثر المصاحف " سورة تبت " ، وكذلك عنونها الترمذي في جامعه وفي أكثر كتب التفسير تسمية لها بأول كلمة فيها .

وسميت في بعض المصاحف وفي بعض التفاسير " سورة المسد " واقتصر في الإتقان على هذين .

وسماها جمع من المفسرين " سورة أبي لهب " على تقدير : سورة ذكر أبي لهب، وعنونها أبو حيان في تفسيره " سورة اللهب " ولم أره لغيره .

وعنونها ابن العربي في أحكام القرآن سورة ما كان من أبي لهب ، وهو عنوان وليس باسم)[٥] .

هل السورة مكية أو مدنية ؟ أو زمان ومكان نزول السورة .

أجمع المفسرون على أن السورة مكية ، قال الزمخشرى والبيضاوي وشيخ زاده والرازي والجلالان – رحمهم الله – : (مكية)[٦] ، وقال القرطبي – رحمه الله – :

---

(١) راجع : بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادى ١ / ٥٥٢ .

(٢) ٣٠ / ٤٥٣ .

(٣) المسد / ١ .

(٤) المسد / ٥ .

(٥) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ٣٠ / ٥٩٩ ، وقوله : (وعنونها أبو حيان في تفسيره " سورة اللهب " ولم أره لغيره) يدل على أن صاحب التفسير المنير قد أخذه عنه ، والله أعلم .

(٦) راجع : الكشاف ٤ / ٨١٣ ، أنوار التنزيل ٤ / ٧٠٦ ، حاشية زاده ٤ / ٧٠٦ ، مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٥٠ ، تفسير الجلالين لجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلى بهامش الفتوحات الإلهية للجمل ٤ / ٦٠٠ .

(وهى مكية بإجماع)[١] ، وقال الألوسى – رحمه الله – : (وهى مكية ..... بلا خلاف)[٢] ، وقال الفيروزابادى – رحمه الله – : (السورة مكية)[٣] .

ومما يعضد هذا الإجماع أن نزولها كان في السنة الرابعة من البعثة النبوية ، بل ومن أوائل العهد المكي نزولا ، وسيأتي بيان ذلك – إن شاء الله تعالى – في سبب نزولها .

عدد آيها وكلماتها وحروفها :

أما عدد آيها : فقد اتفق المفسرون على أنها خمس آيات ، قال الفيروزابادى – رحمه الله – : (وآياتها خمس بالإجماع)[٤] ، وقال الألوسى – رحمه الله – : (وآيها خمس بلا خلاف)[٥] ، وقال القرطبي – رحمه الله – : (وهى خمس آيات)[٦] .

وأما كلماتها : فقد ذكر الإمام الخازن في تفسيره[٧] أنها عشرون كلمة ، وقال الإمام الفيروزابادى في البصائر[٨] : إنها (ثلاث وعشرون) .

ولا خلاف بين القولين فمن عدها عشرين جعل قوله : ﴿ أَبِي لَهَبٍ ﴾ ، أو ﴿ مَا أَغْنَى ﴾ ، أو ﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾ ، أو ﴿ فِي جِيدِهَا ﴾ ، أو ﴿ مِّن مَّسَدٍ ﴾ كلمة واحدة ، ومن عدها ثلاثا وعشرين لم يقل بذلك ، وإنما عد كل لفظة – حرفا أو كلمة – على حدة ، ولم يدمج أيا منها .

وأما حروفها : فقد اتفق العادون وذكروا أنها سبعة وسبعون حرفا[٩] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٣٤ .
(٢) روح المعاني ٢٩ / ٤٦٦ .
(٣) بصائر ذوى التمييز ١ / ٥٥٢ .
(٤) بصائر ذوى التمييز ١ / ٥٥٢ .
(٥) روح المعاني ٢٩ / ٤٦٦ .
(٦) الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٣٤ .
(٧) لباب التأويل ٦ / ٥٢٨ .
(٨) ١ / ٥٥٢ .
(٩) بصائر ذوى التمييز ١ / ٥٥٢ ، لباب التأويل ٦ / ٥٢٨ .

وقد عددت حروف السورة الكريمة مرات عديدة فوجدت أنها ليست كما ذكروا ، وإنما هي إحدى وثمانون حرفا دون عد المشدد منها ، فالآية الأولى عدد حروفها خمسة عشر حرفا ، والثانية تسعة عشر ، والثالثة خمسة عشر ، والرابعة سبعة عشر، والخامسة خمسة عشر ، ومجموع ذلك إحدى وثمانون حرفا – كما ذكرنا – والله أعلم .

فواصل آياتها :

تدور فواصل السورة الجليلة حول حرفين اثنين هما : الباء والدال ، قال صاحب البصائر – رحمه الله – : (فواصل آياتها " دب ")[١] .

والحرفان – كما هو معلوم – من حروف القلقلة ، وهذا – إن دل على شيء – يدل على أن حياة أبى لهب وامرأته – لعنهما الله تعالى – كانت حياة كلها قلق واضطراب وعدم ثبات واستقرار ، وذلك واضح جلي في محاربتهما وعداوتهما للرسول ﷺ ولدينه ولدعوته وللمؤمنين – أيضا – إذ من كان هذا حاله فأنى له الراحة والسكينة ! وسيأتي ذكر بعض من مواقفهما الدالة على هذه الحياة القلقة المليئة بالحقد الدفين والكره الشديد تجاه الرسول ودينه ..... كما أن القلق والاضطراب ملازمان لهما في الآخرة – أيضا – حيث العذاب الأليم ونار الجحيم اللذان أعدهما الله – تعالى – لهما .....

ما ورد في فضلها :

ذكر بعض المفسرين[٢] حديثا يدل على فضل السورة وشرفها وهو من رواية أبى ابن كعب عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من قرأ سورة تبت رجوت ألا يجمع الله بينه وبين أبى لهب فى دار واحدة " .

ومن الأمور المسلمة لدى أهل الحديث أن حديث أبى في فضائل السور ضعيف ، كما أن الشهاب حكم عليه في حاشيته[٣] بالوضع فقال : (موضوع) .

وذكر الفيروزابادى هذا الحديث وزاد عليه حديثا آخر وقال بضعفهما فقال – رحمه الله – : (فضل السورة فيه حديثان ضعيفان : " من قرأها رجوت ألا يجمع الله بينه

---

(١) بصائر ذوى التمييز ١ / ٥٥٢ .

(٢) كالأئمة : الزمخشرى في كشافه ٤ / ٨١٧ ، والبيضاوي في أنواره ٤ / ٧٠٩ ، أبى السعود في إرشاده ٦ / ٤٨٦ .

(٣) ٩ / ٥٩٤ .

وبين أبى لهب في دار واحدة " ، وحديث على : يا على " من قرأها أعطاه الله ثواب الصالحين ، وله بكل آية قرأها ثواب عتق رقبة ")[١] .

وقد أومأت إلى ذلك لبيان حال ما ورد في فضل السورة من أنها أحاديث ضعيفة ؛ حتى لا يغتر أحد بها ، ويكون على حذر من مثل ذلك .

سبب نزولها :

تعددت الأقوال في سبب نزول السورة وكلها تدور في فلك واحد وهو حال أبى لهب وامرأته – لعنهما الله – حينما أمر الله – تعالى – رسوله ﷺ أن يصدع بدعوته، وينذر أهله وعشيرته ، ويبلغهم دينه ﷻ كما قال – تعالى – : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾[٢] ، وهاك هي :

الأول : ما رواه الشيخان[٣] وغيرهما – واللفظ لمسلم – عن ابن عباس قال : " لما نزلت : " وأنذر عشيرتك الأقربين ، ورهطك منهم المخلصين "[٤] خرج رسول الله ﷺ

---

(١) بصائر ذوى التمييز ١ / ٥٥٢ .

(٢) الشعراء / ٢١٤ .

(٣) البخاري في صحيحه ك التفسير باب تفسير سورة ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ٤ / ١٩٠٣ (٤٦٨٧) ، مسلم في صحيحه ك الإيمان باب في قوله – تعالى – : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ١ / ١٩٣ (٢٠٨) .

(٤) وعلق الإمام النووي – رحمه الله – على هذه العبارة فقال : (وظاهر هذه العبارة أن قوله : ورهطك منهم المخلصين كان قرآنا أنزل ثم نسخت تلاوته) شرح صحيح مسلم للنووي ١ / ١٩٣ ، بينما قال الطاهر – رحمه الله – : (ومعلوم أن آية " وأنذر عشيرتك الأقربين " من سورة الشعراء وهي متأخرة النزول عن سورة تبت ، وتأويل ذلك أن آية تشبه آية سورة الشعراء نزلت قبل سورة أبي لهب لما رواه أبو أسامة يبلغ ابن عباس لما نزلت " وأنذر عشيرتك الأقربين ، وقومك منهم المخلصين " ولم يقل : من سورة الشعراء خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فتعين أن آية سورة الشعراء تشبه صدر الآية التي نزلت قبل نزول سورة أبي لهب) التحرير والتنوير ٣٠ / ٦٠٠ ، وكلام الإمام النووي – رحمه الله – هو ما نميل إليه = =ونرجحه ؛ إذ النسخ واقع وجائز – كما قال بذلك الجمهور – في سور القرآن وآياته ، ويعضد هذا أن ما نسخت تلاوته لا تجوز القراءة به ، ويكون حكمها الشذوذ ، قال الإمام ابن العربي – رحمه الله – : (مَرَّتْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ قِرَاءَتَانِ

حتى صعد الصفا فهتف : يا صباحاه ! فقالوا : من هذا الذي يهتف ؟ قالوا : محمد، فاجتمعوا إليه فقال : " يا بني فلان ، يا بني فلان ، يا بني فلان ، يا بني عبد مناف ، يا بني عبد المطلب " فاجتمعوا إليه ، فقال : " أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي " ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا ، قال : " فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " فقال أبو لهب : تبا لك ! أما جمعتنا إلا لهذا ! ثم قام فنزلت هذه السورة ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ... ﴾ " .

الثاني : ما حكاه عبد الرحمن بن زيد أن أبا لهب أتى النبي ﷺ فقال : ماذا أُعطى إن آمنت بك يا محمد ؟ فقال : " كما يعطى المسلمون " ، قال : ما لي عليهم فضل ؟ قال : " وأي شيء تبغي " ؟ قال : تبا لهذا من دين أن أكون أنا وهؤلاء سواء فأنزل الله – تعالى – فيه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ .

الثالث : ما ذكره عبد الرحمن بن كيسان قال : كان إذا وفد على النبي ﷺ وفد انطلق إليهم أبو لهب فيسألونه عن رسول الله ﷺ ويقولون له : أنت أعلم به منا ، فيقول لهم أبو لهب : إنه كذاب ساحر فيرجعون عنه ولا يلقونه ، فأتى وفد ففعل معهم مثل ذلك فقالوا : لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه ، فقال لهم أبو لهب : إنا لم نزل نعالجه فتبا له وتعسا ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فاكتأب لذلك فأنزل الله – تعالى – ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ السورة .

الرابع : قيل : إن أبا لهب أراد أن يرمي النبي ﷺ بحجر فمنعه الله من ذلك ، وأنزل الله – تعالى – : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[1] .

: إحْدَاهُمَا قَوْلُهُ : " وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَك الْأَقْرَبِينَ . وَرَهْطَك مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ " ، وَالثَّانِيَةُ قَوْله تَعَالَى : تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبَّ ، وَهُمَا شَاذَّتَانِ ، وَإِنْ كَانَ الْعَدْلُ رَوَاهُمَا عَنْ الْعَدْلِ ، وَلَكِنَّهُ كَمَا بَيَّنَّا لَا يُقْرَأُ إلَّا بِمَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْإِسْلَامِ) أحكام القرآن لابن العربي ٨ / ١٤٦ .

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، وانظر – أيضا – في بعض الأقوال : النكت والعيون ٤ / ٥٦٠ ، ٥٦١ ، الفتوحات الإلهية ٤ / ٦٠١ .

الخامس : ما رواه البيهقى في الدلائل عن ابن عباس – أيضا – أن أبا لهب قال – لما خرج من الشعب وظاهر قريشا – : إن محمدا يعدنا أشياء لا نراها كائنة ، يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فماذا وضع في يديه ؟ ثم نفخ في يديه ، ثم قال : تبا لكما ، ما أرى فيكما شيئا مما يقول محمد ﷺ فنزلت : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ .

ولا تناقض بين هذه الأقوال فقد تتعدد الأسباب والمنزل واحد .

ترتيبها :

وينقسم إلى قسمين : ترتيب النزول ، ترتيبها في المصحف .

أما من حيث ترتيب النزول فقد عد العلماء السورة السادسة من حيث هذا الترتيب، فقد نزلت بعد سورة الفاتحة ، وقبل سورة التكوير ، وعلى هذا فهي من أوائل السور القرآنية – بل والمكية – نزولا .

وأما من حيث الترتيب المصحفى فهي السورة الحادية عشرة بعد المائة .

مناسبتها لما قبلها :

ترتبط السورة الجليلة بما قبلها – وهى سورة النصر وحدها – تارة ، وسورتا الكافرون والنصر – معا تارة أخرى – ارتباطا وثيقا ، وقد جلى بعض المفسرين ذلك في تفاسيرهم أيما جلاء .

فأما عن ارتباطها بسورة النصر فيقول الإمام الألوسى – رحمه الله – : (ولما ذكر – سبحانه – فيما قبل دخول الناس في ملة الإسلام عقبه – سبحانه – بذكر هلاك بعض ممن لم يدخل فيها وخسرانه على نفسه ، فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم كذا قيل في وجه الاتصال .

وقيل : هو من اتصال الوعيد بالوعد وفى كل مسرة له – عليه الصلاة والسلام –)[1] .

والمراد من الوعيد سورة المسد ، ومن الوعد سورة النصر .

وأما عن ارتباطها بسورتي الكافرون والنصر فيقول العلامة الفخر – رحمه الله : (اعلم أنه – تعالى – قال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2] ثم بين في سورة

(١) روح المعاني ٢٩ / ٤٦٦ .

(٢) الذاريات / ٥٦ .

: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾[١] أن محمدا – عليه الصلاة والسلام – أطاع ربه وصرح بنفي عبادة الشركاء والأضداد ، وأن الكافر عصى ربه واشتغل بعبادة الأضداد والأنداد ، فكأنه قيل : إلهنا ما ثواب المطيع ، وما عقاب العاصي ؟ فقال : ثواب المطيع حصول النصر والفتح والاستيلاء في الدنيا ، والثواب الجزيل في العقبى كما دلت عليه سورة : ﴿ إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ ﴾[٢] وأما عقاب العاصي فهو الخسار في الدنيا ، والعقاب العظيم في العقبى كما دلت عليه سورة : ﴿ تَبَّتْ ﴾ ونظيره قوله – تعالى – في آخر سورة الأنعام[٣] : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ فكأنه قيل : إلهنا أنت الجواد المنزه عن البخل ، والقادر المنزه عن العجز ، فما السبب في هذا التفاوت ؟ فقال : ﴿ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ فكأنه قيل : إلهنا فإذا كان العبد مذنبا عاصيا فكيف حاله ؟ فقال : في الجواب : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾ وإن كان مطيعا منقادا كان جزاؤه أن الرب – تعالى – يكون غفورا لسيئاته في الدنيا ، رحيما كريما في الآخرة)[٤] .

وقيل – أيضا – : (إنه – تعالى – لما قال : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[٥] فكأنه ﷺ قال : " إلهي فما جزائي " ؟ فقال الله – تعالى – : " لك النصر والفتح " ، فقال : " فما جزاء عمى الذي دعاني إلى عبادة الأصنام " ؟ فقال : " تبت يداه " ، وقدم الوعد على الوعيد ليكون النصر متصلا بقوله – تعالى – : ﴿ وَلِيَ دِينِ ﴾ والوعيد راجعا إلى قوله – تعالى – : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ ﴾ على حد ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴾[٦] الآية ، فتأمل هذه

(١) الكافرون / ١ .
(٢) النصر / ١ .
(٣) ١٦٥ .
(٤) مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٥٠ .
(٥) الكافرون / ٦ .
(٦) آل عمران / ١٠٦ .

المجانسة الحاصلة بين هذه السور مع أن سورة النصر من آخر ما نزل بالمدينة وتبت من أوائل ما نزل بمكة ؛ لتعلم أن ترتيبها من الله – تعالى – وبأمره ﷻ)[1] .

مقاصدها وأغراضها :

مما لا يختلف فيه اثنان أن لكل سورة من سور التنزيل العزيز هدفا محددا تدور حوله ، وغرضا أساسيا تجليه ، ومقصدا رئيسا تبرزه وتوضحه ، وقد عرض كثير من المفسرين لهذا الأمر وبينوه في تفاسيرهم بيانا شافيا .

وفيما يتعلق بالغرض أو الهدف الذي تدور حوله السورة يقول الفيروزابادى – رحمه الله – : (مقصود السورة : تهديد أبى لهب على الجفاء والإعراض ، وضياع كسبه وأمره ، وبيان ابتلائه يوم القيامة ، وذم زوجه في إيذاء النبي ﷺ وبيان ما هو مدخر لها من سوء العاقبة)[2] .

ويقول الطاهر – رحمه الله – : (أغراضها : زجر أبي لهب على قوله : تبا لك ألهذا جمعتنا ؟ ووعيده على ذلك ، ووعيد امرأته على انتصارها لزوجها ، وبغضها النبي ﷺ)[3] .

ولا ريب أن النصين يتفقان في بيان مقصد السورة الذي سيقت له ، والغرض الذى تتحدث عنه .

والآن – وبعد أن انتهينا من هذه التوطئة المهمة – نأتي إلى خوض غمار بحار تفسير السورة الجليلة والوقوف على أسرارها ودررها ، وكنوزها ولآلئها ؛ لنغترف من معينها وننهل من رياضها ..... ونزداد معرفة لكلام ربنا ، وضياء لقلوبنا ، وهداية لنفوسنا ..... فإلى ذلك ، والله ﷻ المعين والمستعان .

تفسير السورة الكريمة

قوله – تعالى – : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾

---

(١) روح المعاني ٢٩ / ٤٦٦ .

(٢) بصائر ذوى التمييز ١ / ٥٥٢ .

(٣) التحرير والتنوير ٣٠ / ٦٠٠ .

التباب في اللغة : تدور مادته حول الخسار والهلاك وما في معناهما والاستمرار في ذلك .

قال ابن فارس – رحمه الله – : (التاء والباء كلمةٌ واحدة وهي التّباب – وهو الخُسْران – وتبّاً للكافر ، أي : هلاكاً له ، وقال الله – تعالى – : ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ (١) أي : تخسير)(٢) .

وقال ابن منظور – رحمه الله – : (التَّبُّ : الخَسارُ ، والتَّبابُ : الخُسْرانُ والهَلاكُ، وتَبّاً له على الدُّعاءِ ... وتَبّاً وتَبيباً على المُبالَغَةِ ، وتَبَّ تَباباً وتَبَّبَه قال له: تَباً كما يقال : جَدَّعَه وعَقَّره ، تقول : تَبّاً لفلان .. أَي : أَلْزَمه اللّهُ خُسْراناً وهَلاكاً، وتَبَّتْ يَداهُ تَبّاً وتَباباً : خَسِرتَا ، وفي التنزيل العزيز ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ أي : ضَلَّتا وخَسِرَتا ..... والتَّبَبُ والتَّبابُ والتَّتْبِيبُ : الهَلاكُ ، والتَّتْبِيبُ : النَّقْصُ والخَسارُ)(٣) .

وفي المفردات(٤) (التب والتباب : الاستمرار فى الخسران ، يقال له : تبا له وتب له وتبَّبته : إذا قلت له ذلك ، ولتضمن الاستمرار قيل : استتب لفلان كذا ، أى : استمر ، ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ أي : استمرت فى خسرانه ، نحو : ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾(٥) ، ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ (٦) ، أي : تخسير ، ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾(٧)) .

وعلى هذا فقوله : ﴿ تَبَّتْ ﴾ يراد به من حيث اللغة : الخسار والهلاك والدمار... والاستمرار في ذلك كله ، وعدم الفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة .

---

(١) هود / ١٠١ .
(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١ / ٣٢٠ .
(٣) لسان العرب لابن منظور ١ / ٢٢٦ .
(٤) ص ٧٢ .
(٥) الحج / ١١ .
(٦) هود / ١٠١ .
(٧) غافر / ٣٧ .

وتعريفه اصطلاحا – وهو التعريف اللغوي نفسه – هو : خسران يؤدى إلى الهلاك[١] .

والكلام دعاء وتقريع لأبي لهب دافع الله به عن نبيه بمثال اللفظ الذي شتم به أبو لهب محمد ﷺ جزاء وفاقا .

والسر في استهلال السورة بذلك هو توبيخ أبى لهب وامرأته ووعيدهما ، يقول الطاهر – رحمه الله – : (افتتاح السورة بالتبات مشعر بأنها نزلت لتوبيخ ووعيد ، فذلك براعة استهلال مثل ما تفتتح أشعار الهجاء بما يؤذن بالذم والشتم ، ومنه قوله – تعالى – : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾[٢])[٣] .

وقد تعددت الأقوال في المراد من قوله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : خابت ، وقال قتادة : خسرت ، وقال ابن جبير : هلكت ، وقال عطاء : ضلت ، وقيل : صفرت من كل خير[٤] .

ولا تناقض بين هذه الأقوال فكلها مرادة ومحتملة ، قال أبو حيان – رحمه الله – : (وهذه الأقوال متقاربة فى المعنى)[٥] .

وبالنظر في هذه المعاني يلاحظ أن قتادة قد فسر التباب باعتبار الأصل – وهو الخسران – وأما سائر الأقوال فقد نظرت إلى نتيجة الخسران وما يترتب عليه .

واستهلت السورة الكريمة بهذا الاستهلال ﴿ تَبَّتْ ﴾ ولم تفتتح – كسائر أخواتها – بـ قل ؛ (لأن هذا أكثر أدبا وأدخل في باب العذر وأولى في مراعاة ذوى الرحم ، ولذلك لم

---

(١) أنوار التنزيل ٤ / ٧٠٦ ، لباب التأويل ٦ / ٥٢٨ .

(٢) المطففين / ١ .

(٣) التحرير والتنوير ٣٠ / ٦٠٠ .

(٤) البحر المحيط لأبى حيان ٨ / ٥٢٦ بتصرف يسير ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكانى ٥ / ٦١٣ ، النكت والعيون ٤ / ٥٦١ ، روح المعاني ٢٩ / ٤٦٧ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٣٥ .

(٥) البحر المحيط ٨ / ٥٢٦ .

يكرر ذكرها في القرآن ، وأشد في انتصار الله ﷻ له ﷺ وأقرب إلى التخويف وتجويز سرعة الوقوع)[١] .

وأوثر التباب على الهلاك ؛ لمراعاة الحال والواقع ، فإن أبا لهب – لعنه الله – لم يتوقف في معاداته للرسول ﷺ عند قوله : تبا لك ، وإنما استمر وزاد ؛ حيث أخذ بيديه حجرا ليرمى بها رسول الله ﷺ فكان التعبير بالتباب دون الهلاك ، والجزاء – كما هو معلوم – من جنس العمل .

والمراد من اليدين :

إما العضوان المعروفان باليد اليمني واليد اليسري ، أي : تبت يداه هذه حقيقة ، ودليل ذلك ما روى عن طارق المحاربي أنه قال : رأيت رسول الله ﷺ في السوق يقول : يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا ، ورجل خلفه يرميه بالحجارة وقد أدمى عقبيه ، والرجل يقول : لا تطيعوه فإنه كذاب ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : محمد وعمه أبو لهب[٢] ، ووجه الدلالة : أن الرمي يكون باليدين وهما العضوان المعروفان .

أو : النفس ، أي : نفس أبي لهب ، ودليله قوله : ﴿ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[٣] ، وقوله : ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾[٤] فالمراد من الآيتين : النفس .

قال الخازن – رحمه الله – : (والمراد من اليد : صاحبها وجملة بدنه ، وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله وجميعه)[٥] .

أو : دنياه وآخرته[٦] .

أو : عمله ، أي : عمل أبي لهب[٧] .

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعى ٨ / ٥٦٨ .

(٢) مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٥٣ .

(٣) البقرة / ١٩٥ .

(٤) الحج / ١٠ .

(٥) لباب التأويل ٦ / ٥٢٨ .

(٦) مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٥٣ ، أنوار التنزيل ٤ / ٧٠٦ .

(٧) النكت والعيون ٤ / ٥٦٢ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٣٥ .

والمعاني الثلاثة الأخيرة أولها من باب المجاز حيث أطلق الجزء وأراد الكل ، وثانيها وثالثها كناية عن النفس والذات ؛ لما بينهما من اللزوم في الجملة .

وأسند الهلاك أو التباب إلي اليدين أو خصهما بالذكر دون غيرهما من سائر الأعضاء ؛ لأن العمل أكثر ما يكون بهما ، فهما موضع الكسب والربح وضم جميع ما يملك .

وقال البيضاوي – رحمه الله – : (وقيل : إنهما خصتا لأنه – عليه الصلاة والسلام – لما نزل عليه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾[1] جمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب : تبا لك ، ألهذا دعوتنا ، وأخذ حجرا ليرميه به فنزلت)[2] .

وزاد العلامة الفخر – رحمه الله – علة ثالثة فقال : (ولعله إنما ذكر اليد ؛ لأنه كان يضرب بيده على كتف الوافد عليه ، فيقول : انصرف راشدا ؛ فإنه مجنون ، فإن المعتاد أن من يصرف إنسانا عن موضع يضع يده علي كتفه ويدفعه عن ذلك الموضع)[3] .

وأبو لهب هو عم النبي ﷺ واسمه عبد العزي بن عبد المطلب بن هاشم .....

والأبُ : يطلق على ملازم ما أضيف إليه كقولهم : " أبوها وكيالها " وكما كني إبراهيم عليه السلام : أبا الضيفان ، وكنى النبي ﷺ عبد الرحمان بن صخر الدوسي : أبا هريرة ؛ لأنه حمل هرة في كم قميصه ، وكني شهر رمضان : أبا البركات ، وكني الذئب : أبا جعدة ، والجعدة سخلة المعز ؛ لأنه يلازم طلبها لافتراسها ، فكانت كنية أبي لهب صالحة موافقة لحاله من استحقاقه لهب جهنم فصار هذا التوجيه كناية عن كونه جهنميا لينتقل من جعل أبي لهب بمعنى ملازم اللهب إلى لازم تلك الملازمة في العرف وهو من أهل جهنم[4] .

وكني بأبي لهب – كما قال العلماء – : لمعان أربعة :

---

(١) الشعراء / ٢١٤ .

(٢) أنوار التنزيل ٤ / ٧٠٦ .

(٣) مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٥٢ ، ٧٥٣ .

(٤) التحرير والتنوير ٣٠ / ٦٠١ ، ٦٠٢ .

(**الأول:** أنه كان سمى عبد العزى ، والعزى : صنم ولم يضف الله في كتابه العبودية إلى صنم .

الثاني: أنه كان بكنيته أشهر منه باسمه فصرح بها .

الثالث: أن الاسم أشرف من الكنية فحطه الله ﷻ عن الأشرف إلى الأنقص إذا لم يكن بد من الإخبار عنه ، ولذلك دعا الله – تعالى – الأنبياء بأسمائهم ، ولم يَكْن عن أحد منهم ويدلك على شرف الاسم على الكنية : أن الله – تعالى – يُسَمَّى ولا يُكَنَّى وإن كان ذلك لظهوره وبيانه واستحالة نسبة الكنية إليه لتقدسه عنها .

الرابع: أن الله – تعالى – أراد أن يحقق نسبته بأن يدخله النار فيكون أبا لها تحقيقا للنسب وإمضاء للفأل والطيرة التي اختارها لنفسه ، وقد قيل : اسمه كنيته فكان أهله يسمونه (أبا لهب) لتلهب وجهه وحسنه فصرفهم الله عن أن يقولوا : أبو النور وأبو الضياء الذي هو المشترك بين المحبوب المكروه ، وأجرى على ألسنتهم أن يضيفوه إلى (لهب) الذي هو مخصوص بالمكروه والمذموم وهو النار ثم حقق ذلك بأن يجعلها مقره)[1] .

وزاد الألوسى – رحمه الله – معنى خامسا فقال : (أو لتجانس ﴿ ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ ويوافقه لفظا ومعنى)[2] .

وعدل عن التعبير بالاسم إلي الكنية ؛ لأن الاسم قبيح فهو عبد العزي ، وهذا موجب العدول عنه غيرة علي العبودية أن تضاف إلي غير مستحقها[3] – وهو الله تعالى – .

وقوله : ﴿ وَتَبَّ ﴾ إما معطوف على جملة ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ عطف الدعاء على الدعاء إذا كان إسناد التبات إلى اليدين ؛ لأنهما آلة الأذى بالرمي بالحجارة .. فأعيد الدعاء على جميعه إغلاظا له في الشتم والتقريع ، والغرض من الجملة على هذا هو تأكيد قوله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ لأنها بمعناها .

وإما أن يكون في موضع الحال ، ولا يكون دعاء ، وإنما هو تحقيق لحصول ما دعي عليه به كقول النابغة :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، روح المعاني ٢٩ / ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، إرشاد العقل السليم ٦ / ٤٨٥ ، وغير ذلك .

(٢) روح المعاني ٢٩ / ٤٦٩ .

(٣) نظم الدرر ٨ / ٥٦٨ .

جزي ربه عني عدي بن حاتم جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

فيكون الكلام قبله مستعملا في الذم والشماتة به ، أو لطلب الازدياد ، ويؤيد هذا الوجه قراءة عبد الله بن مسعود وقد تب[1] فيتمحض الكلام قبله لمعنى الذم والتحقير دون معنى طلب حصول التبات له ، وذلك كقول عبد الله بن رواحة حين خروجه إلى غزوة مؤتة التي استشهد فيها :

حتى إذا مروا على جدثي أرشدك الله من غاز وقد رشدا

يعني ويقولوا : وقد رشدا ، فيصير قوله : أرشدك الله من غاز لمجرد الثناء والغبطة بما حصله من الشهادة[2] .

ومعني ﴿ وَتَبَّ ﴾ : أي : هلك هو بعد أن قطعت يداه .

وقد يوهم البعض فيقول : إن قوله : ﴿ تَبَّتْ ﴾ تكرار لقوله : ﴿ وَتَبَّ ﴾ فهل هذا صواب أولاً ؟

والجواب : لا ؛ لأنه لا تكرار في القرآن الكريم فكل لفظة لها معناها ومدلولها الذي يفيد غير ما يفيده المعني الأول ، وكل حرف كذلك .

قال الإمام الفخر في بيان معاني قوله : ﴿ وَتَبَّ ﴾ :

(أما قوله ﷻ : ﴿ وَتَبَّ ﴾ ففيه وجوه :

أحدها : أنه أخرج الأول مخرج الدعاء عليه كقوله : ﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾[3] وأخرج الثاني مخرج الخبر ، أي : كان ذلك وحصل ، ويؤيده قراءة ابن مسعود وقد تب .

وثانيها : كل واحد منهما إخبار ، ولكن أراد بالأول : هلاك عمله ، وبالثاني : هلاك نفسه ، ووجهه أن المرء إنما يسعى لمصلحة نفسه وعمله ، فأخبر الله – تعالى – أنه محروم من الأمرين .

---

(١) وهى قراءة شاذة كما قال الإمام ابن العربي في أحكام القرآن ٨ / ١٤٦ ، وذكرها أبو حيان في البحر ٨ / ٥٢٦ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥ / ٥٣٤ .

(٢) التحرير والتنوير ٣٠ / ٦٠٣ .

(٣) عبس / ١٧ .

وثالثها : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ يعني : ماله ، ومنه يقال : ذات اليد ، ﴿ وَتَبَّ ﴾ هو بنفسه كما يقال : ﴿ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ ﴾[1] وهو قول أبي مسلم .

ورابعها : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ يعني : نفسه ، ﴿ وَتَبَّ ﴾ يعني : ولده عتبة على ما روى أن عتبة بن أبي لهب خرج إلى الشام مع أناس من قريش فلما هموا أن يرجعوا ، قال لهم عتبة : بلغوا محمدا عني أني قد كفرت بالنجم إذا هوى ، وروى أنه قال ذلك في وجه رسول الله وتفل في وجهه ، وكان مبالغا في عداوته ، فقال : " اللهم سلط عليه كلبا من كلابك " فوقع الرعب في قلب عتبة وكان يحترز ، فسار ليلة من الليالي فلما كان قريبا من الصبح فقال له أصحابه : هلكت الركاب فما زالوا به حتى نزل وهو مرعوب وأناخ الإبل حوله كالسرادق فسلط الله عليه الأسد وألقى السكينة على الإبل فجعل الأسد يتخلل حتى افترسه ومزقه ، فإن قيل : نزول هذه السورة كان قبل هذه الوقعة ، وقوله : ﴿ وَتَبَّ ﴾ إخبار عن الماضي ، فكيف يحمل عليه ؟ قلنا : لأنه كان في معلومه – تعالى – أنه يحصل ذلك .

وخامسها : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ حيث لم يعرف حق ربه ﴿ وَتَبَّ ﴾ حيث لم يعرف حق رسوله)[2] .

وعلى هذا فلا تكرار ؛ إذ لكل من اللفظتين معناه ، ومدلوله الخاص به .

والتعبير بالماضي في الموضعين يفيد تحقق الوقوع وتوكيده[3] .

وإذا كان المفسرون قد أجمعوا علي أن المراد من الآية هو الدعاء علي أبي لهب – لعنه الله – فإن في قوله : ﴿ وَتَبَّ ﴾ دلالة على أنه قد حدث له ذلك فعلا ، ولذا اختار أستاذنا عبد الكريم الخطيب أن الكلام علي حقيقته وهو الهلاك حقاً والقطع صدقاً ..... وليس الدعاء فحسب ، قال – رحمه الله – : (والرأي عندنا – والله أعلم – أن هذا الخبر على حقيقته ، وأنه خبر مطلق لم يخرج عن حقيقته إلى الدعاء .. فأبو لهب قد وقع عليه الهلاك فعلا ، وحل به البلاء منذ اتخذ من النبي ومن الدعوة الإسلامية هذا

(١) الزمر / ١٥ .

(٢) مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٥٤ ، ٧٥٥ .

(٣) روح المعاني ٢٩ / ٤٦٨ .

الموقف الأثيم الضال .. لقد ركب الطريق الذي لا نجاة لسالكه ، ولا سلامة لسائر فيه ، وكذلك امرأته التي ركبت معه هذا الطريق ، وعلقت فيه حبالها بحباله)[١] .

ويعضد هذا جواب السائل : ما السر في مجيء قوله – تعالى – : ﴿ وَتَبَّ ﴾ بعد قوله : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ ﴾ مع أنه كاف في الدلالة على هلاك أبى لهب والقطع بذلك سواء كان إنشاء للدعاء عليه ، أو إخباراً بوقوع ذلك منه ؟

وهو (أن الأول لما كان محتملاً الخبر – وقد يمحو الله ما يشاء ويثبت – أو إنشاء – وقد لا ينفذ كقوله : ﴿ قُتِلَ الإنسان مَآ أَكْفَرَهُ ﴾[٢] – أو يحمل على الذم فقط والتقبيح ، لما كان كذلك جاء ﴿ وَتَبَّ ﴾ لبيان أنه واقع به لا محالة ، وأنه ممن حقت عليهم كلمة ربك ليبأس ﷺ والمسلمون من إسلامه ، وتنقطع الملاطفة معه .

وقد وقع ما أخبر الله به ، إذ لم يسلم أبو لهب – لعنه الله – ومات على الكفر – والعياذ بالله – وهذا دليل على إعجاز القرآن حيث ما أخبر به وقع كما أخبر ولم يتخلف ، قال – تعالى – : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً ﴾[٣] ، وقال – أيضا – : ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الذين فسقوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[٤] نسأل الله العافية ؛ إنه سميع مجيب)[٥] .

وفي الآية دلالة علي أن الانتماء إلي الصالحين لا يغني إلا إن وقع الاقتداء بهم في أفعالهم وأحوالهم وجميع أمورهم ، وأبو لهب – لعنه الله – عمه ﷺ ولم يؤمن به – فضلاً عن الاقتداء – فلا نفع لقرابته ، إذ لا تجلب له نفعاً ، ولن تدفع عنه ضراً...

وفيما تبت عنه يدا أبى لهب – لعنه الله – قولان :

أولهما : عن التوحيد ، كما قال ابن عباس – رضى الله عنهما – .

ثانيهما : عن الخيرات كما قال مجاهد – رحمه الله –[٦] .

---

(١) التفسير القرآني للقرآن للشيخ عبد الكريم الخطيب ٣٠ / ١٧٠٤ ، ١٧٠٥ .

(٢) عبس / ١٧.

(٣) الأنعام / ١١٥ .

(٤) يونس / ٣٣ .

(٥) أضواء البيان للأمين الشنقيطى ٩ / ٣٢٧ بتصرف يسير .

(٦) النكت والعيون ٤ / ٥٦٢ .

وللعلامة الفخر في الآية سؤالات عدة ، نختار منها أولها وثالثها .

أما الأول فقوله : (لماذا كناه مع أنه كالكذب إذا لم يكن له ولد اسمه لهب ، و– أيضا – فالتكنية من باب التعظيم ؟ والجواب : عن الأول أن التكنية قد تكون اسما، ويؤيده قراءة من قرأ تبت يدا أبو لهب[1] كما يقال : علي بن أبو طالب ، ومعاوية ابن أبو سفيان ، فإن هؤلاء أسماؤهم كناهم ، وأما معنى التعظيم فأجيب عنه من وجوه :

أحدها : أنه لما كان اسما خرج عن إفادة التعظيم .

والثاني : أنه كان اسمه عبد العزي فعدل عنه إلى كنيته .

والثالث : أنه لما كان من أهل النار ومآله إلى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته ، فكان جديرا بأن يذكر بها ، ويقال : أبو لهب ، كما يقال : أبو الشر للشرير ، وأبو الخير للخير .

الرابع : كنى بذلك لتلهب وجنتيه وإشراقهما ، فيجوز أن يذكر بذلك تهكما به واحتقارا له)[2] .

وأما الثالث : فقوله : (ما السبب في أنه لم يقل : قل : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ وقال في سورة الكافرون : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾[3] ؟ الجواب : من وجوه :

الأول : لأن قرابة العمومة تقتضي رعاية الحرمة ، فلهذا السبب لم يقل له : قل ذلك لئلا يكون مشافها لعمه بالشتم بخلاف السورة الأخرى فإن أولئك الكفار ما كانوا أعماما له .

الثاني : أن الكفار في تلك السورة طعنوا في الله ، فقال الله – تعالى – : يا محمد أجب عنهم ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾[4] في هذه السورة طعنوا في محمد ، فقال الله – تعالى – : اسكت أنت فإني أشتمهم ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ .

الثالث : لما شتموك فاسكت حتى تندرج تحت هذه الآية : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾[1] إذا سكت أنت أكون أنا المجيب عنك ، يروى أن أبا بكر كان يؤذيه

---

(١) – بالواو – وهى قراءة شاذة . مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ص ١٨٣ .

(٢) مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٥٥ .

(٣) الكافرون / ١ .

(٤) الكافرون / ١ .

واحد فبقي ساكتا ، فجعل الرسول يدفع ذلك الشاتم ويزجره ، فلما شرع أبو بكر في الجواب سكت الرسول ، فقال أبو بكر : ما السبب في ذلك ؟ قال : لأنك حين كنت ساكتا كان الملك يجيب عنك ، فلما شرعت في الجواب انصرف الملك وجاء الشيطان ، واعلم أن هذا تنبيه من الله – تعالى – على أن من لا يشافه السفيه كان الله ذابا عنه وناصرا له ومعينا)[٢] .

القراءات الواردة في الآية :

قرأ ابن كثير – وحده – أبى لهْب – بسكون الهاء – ، وقرأ الباقون بفتحها[٣] ، وهما لغتان كالشعْر والشعَر والنهْر والنهَر[٤] .

وثمة توجيه آخر لقراءة ابن كثير وهو أن قراته قراءة أهل مكة ، ولعل كنية أبى لهب – بسكون الهاء – قد اشتهرت بينهم تحقيقا لكثرة دورانها على الألسنة فى زمانه[٥] .

وقرئ – أيضا – تبت يدا أبو لهب – بالواو – ، وهى قراءة شاذة[٦] .

---

(١) الفرقان / ٦٣ .

(٢) مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٥٦ ، ٧٥٧ .

(٣) انظر : النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢ / ٤٠٤ .

(٤) الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبى مريم ٣ / ١٤٠٩ .

(٥) انظر : التحرير والتنوير ٣٠ / ٦٠٣ .

(٦) مختصر شواذ القرآن ص ١٨٣ .

قوله – تعالى – : ﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾.

وفي مناسبتها لما قبلها يقول الإمام البقاعي – رحمه الله – : (ولما أوقع – سبحانه – الإخبار بهلاكه على هذا الوجه المؤكد لما كان لصاحب القصة وغيره من الكفار من التكذيب بلسان حاله وقاله لما له من المال والولد ، وما هو فيه من القوة بالعَدد والعُدد زاد الأمر تحققا إعلاما بأن الأحوال الدنيوية لا غناء لها فقال – مخبرا أو مستفهما منكرا – : ﴿ مَا أَغْنَى ﴾ أي : أجزى وناب وسد ﴿ عَنْهُ ﴾ أي : عن أبى لهب الشقي الطريد المبعود عن الرحمة مع العذاب ﴿ مَالُهُ ﴾ أي : الكثير الذي جرت العادة بأنه ينجى من الهلاك ، ولما كان الكسب أعم من المال ، وكان المال قد يكسب منافع هي أعظم منه من الجاه وغيره ، وكان الإنسان قد يكون فائزا ولا مال له بأمور أثلها بسعيه خارجة عن المال قال – مفيدا لذلك مبينا أنه لا ينفع إلا ما أمر الله به – : ﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾)[1] .

وسبب نزول هذه الآية : ما روي عن ابن مسعود أن أبا لهب قال : إن كان ما يقول ابن أخي حقا فأنا افتدي نفسي يوم القيامة بمالي وولدي ، فأنزل الله ﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾[2] .

و ﴿ مَا ﴾ في قوله : ﴿ مَا أَغْنَى ﴾ إما نافية ، والمعني : لم يغن عنه ماله الموروث عن آبائه وكسبه شيئاً .

أو : استفهامية ، والمعني : أيُّ شيء يغني عنه ماله وكسبه ؟ أو : أين الغني الذي لماله وكسبه ؟ والمراد من الاستفهام : التقرير والإنكار .

و﴿ مَا ﴾ في قوله : ﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾ موصولة أو مصدرية ، والمعني : ما أغني عنه ماله الذي كسبه أو وكسبه[3] .

والمراد بقوله : ﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾ أي : هو بنفسه ، أو : ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها ، أو : ما كسب من أرباح ماله الذي يتجر به ، أو ﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾ : أي :

---

(١) نظم الدرر ٨ / ٥٧١ .

(٢) التحرير والتنوير ٣٠ / ٦٠٤ .

(٣) البحر المحيط ٨ / ٥٢٧ .

ولده ، والدليل : " ولد الرجل من كسبه "[١] ، أو ﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾ : عمله الخبيث في عداوة الرسول ﷺ ودعوته ، أو : عمله الذي ظن أنه منه علي شيء[٢] .

وكل هذا مراد ويحتمله النص القرآني الحكيم .

وعلى جميع هذه المعاني يكون الجزاء الدنيوي الذي حل به في دنياه قبل موته – لعنه الله – هو عدم إغناء ماله وكسبه عنه شيئا ، وقد حقق ذلك وقواه التعبير بالماضي فى الفعلين .

وهذا ما أكدته كتب السير فلقد روى أن أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ عند عتيبة وأختها عند أخيه عتبة ، فلما نزلت هذه السورة قال أبو لهب لهما : رأسي ورأسكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد ﷺ فطلقاهما إلا أن عتيبة – المصغر – كان قد أراد الخروج إلى الشام مع أبيه فقال : لآتين محمدا – عليه الصلاة والسلام – وأوذينه فأتاه فقال : يا محمد إني كافر بالنجم إذا هوى وبالذي دنا فتدلى ، ثم تفل تجاه رسول الله ﷺ ولم يصبه – عليه الصلاة والسلام – شيء وطلق ابنته أم كلثوم فأغضبه – عليه الصلاة والسلام – بما قال وفعل ، فقال ﷺ : " اللهم سلط عليه كلبا من كلابك " وكان أبو طالب حاضرا فكره ذلك وقال : ما أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة ، فرجع إلى أبيه ، ثم خرجوا إلى الشام فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من دير وقال لهم : إن هذه أرض مسبعة ، فقال أبو لهب : أغيثوني يا معشر قريش في هذه الليلة فإني أخاف على ابني دعوة محمد ﷺ فجمعوا جمالهم وأناخوهم حولهم خوفا من الأسد ، فجاء أسد يتشمم وجوههم حتى أتى عتيبة فقتله ، وفى ذلك يقول حسان :

من يرجع العام إلى أهله فما أكيل السبع بالراجع

وهلك أبو لهب نفسه بالعدسة[٣] بعد وقعة بدر لسبع ليال فاجتنبه أهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون ، فبقى ثلاثا حتى نتن ، فلما خافوا العار استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه ، وفى رواية : حفروا له حفرة ودفعوه بعود حتى وقع فيها فقذفوه

(١) أخرجه أبو داود في سننه ك الإجارة باب في الرجل يأكل من مال ولده ٣ / ٣٨٩ (٣٥٢٩) .
(٢) إرشاد العقل السليم ٦ / ٤٨٥ ، روح المعاني ٢٩ / ٤٧٠ ، مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٥٧ : ٧٥٩ .
(٣) وهى بثرة تخرج بالبدن فتقتل .

بالحجارة حتى واروه ، وفى أخرى : أنهم لم يحفروا له وإنما أسندوه لحائط وقذفوا عليه الحجارة من خلفه حتى توارى فكان الأمر كما أخبر به القرآن[١] .

وعلق الإمام الألوسى – رحمه الله – على ذلك فقال : (وفيه تحسير له وتهكم بما كان يفتخر به من المال والبنين ، وهذه الجملة تصوير للهلاك بما يظهر معه عدم إغناء المال والولد)[٢] .

فسبحان من عظمت قدرته ، ومن تنفذ إرادته ومشيئته ..... وفى ذلك ذكرى للذاكرين ، وعبرة للمعتبرين .

وقد يسأل سائل : في أي شيء لم يغن عنه ماله وما كسب ؟

والجواب : من وجهين :

الأول : في عداوته النبي ﷺ .

الثاني : في دفع النار عنه يوم القيامة .

وقد تحقق ذلك فعلا – وقد سبق بيانه – في الدنيا والآخرة – نسأل الله العفو والعافية –

❁❁❁

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٣٨ ، روح المعاني ٢٩ / ٤٧١ .

(٢) روح المعاني ٢٩ / ٤٧١ .

قوله – تعالى – : ﴿ سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ﴾.

يقول البقاعي – رحمه الله – في مناسبة هذه الآية لما قبلها : (ولما أخبر ﷻ بوقوع هذا التيار الأعظم به ، وكان لا عذاب يدانى عذاب الآخرة بينه بقوله : ﴿سَيَصْلَى ﴾ أي : عن قرب بوعد لا خلف فيه ﴿ نَاراً ﴾ أي : فيدس فيها وتنعطف عليه وتحيط به .

ولما كان المقصود شدة نكايته بأشد ما يكون من الحرارة كما أحرق أكباد الأولياء ، وكانت النار قد تكون جمرة ثم تنطفئ عن قرب قال : ﴿ ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ أي : لا تسكن ولا تخمد – أبدا – لأن ذلك مدلول الصحبة المعبر عنها بـ ﴿ ذَاتَ ﴾ ، وذلك بعد موته)[١] .

وقال الفخر – رحمه الله – : (لما أخبر – تعالى – عن حال أبي لهب في الماضي بالتباب وبأنه ما أغنى عنه ماله وكسبه ، أخبر عن حاله في المستقبل بأنه : ﴿سَيَصْلَى نَاراً ﴾)[٢] .

ومعني ﴿ سَيَصْلَى نَاراً ﴾ أي : سيدخلها – لا محالة – في الآخرة ويقاسي حرها ويذوق لهيبها ، ولعل التعبير بالصلي أبلغ وأعمق وأقوي في الدلالة والإيحاء من التعبير بالدخول .

ثم وصف النار بقوله : ﴿ ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ أي : ذات اشتعال وتوقد عظيم ، وهي نار جهنم – أعاذنا الله والمؤمنين منها – .

والسين للاستقبال وإن تراخى الزمان ، وهو وعيد كائن إنجازه لا محالة[٣] .

وقال الألوسي – رحمه الله – : (والسين لتأكيد الوعيد ، والتنوين للتعظيم ، أي : ناراً عظيمة)[٤] وهذا هو الوعيد الأخروي الذي أعده الله له – لعنه الله –

---

(١) نظم الدرر ٨ / ٥٧١ .
(٢) مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٥٩ .
(٣) البحر المحيط ٨ / ٥٢٧ .
(٤) روح المعاني ٢٩ / ٤٧١ .

ووصف النار بـ ﴿ ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ لزيادة تقرير المناسبة بين اسمه وبين كفره ؛ إذ هو أبو لهب والنار ذات لهب ، وهو ما تقدم الإيماء إليه بذكر كنيته .. وفي وصف النار بذلك زيادة كشف بحقيقة النار ، وهو مثل التأكيد(١) .

وقد أماط العلامة الفخر – رحمه الله – عما اشتملت عليه هذه الآيات الثلاثة السابقة من إعجاز وغيب فقال : (هذه الآيات تضمنت الإخبار عن الغيب من ثلاثة أوجه :

أحدها : الإخبار عنه بالتباب والخسار ، وقد كان كذلك .

وثانيها : الإخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده ، وقد كان كذلك ، روى أبو رافع مولى رسول الله ﷺ قال : كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الإسلام دخل بيتنا ، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت أنا ، وكان العباس يهاب القوم ويكتم إسلامه ، وكان أبو لهب يخلف عن بدر ، فبعث مكانه العاص بن هشام ، ولم يتخلف رجل منهم إلا بعث مكانه رجلا آخر ، فلما جاء الخبر عن واقعة أهل بدر وجدنا في أنفسنا قوة ، وكنت رجلا ضعيفا وكنت أعمل القداح ألحيها في حجرة زمزم فكنت جالسا هناك وعندي أم الفضل جالسة ، وقد سرنا ما جاءنا من الخبر إذا أقبل أبو لهب يجر رجليه فجلس على طنب الحجرة وكان ظهري إلى ظهره ، فبينا هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، فقال له أبو لهب : كيف الخبر يا ابن أخي ؟ فقال : لقينا القوم ومنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف أرادوا ، وأيم الله مع ذلك تأملت الناس لقينا رجال بيض على خيل بلق بين السماء والأرض ، قال أبو رافع : فرفعت طنب الحجرة ، ثم قلت : أولئك والله الملائكة ، فأخذني وضربني على الأرض ، ثم برك علي فضربني وكنت رجلا ضعيفا ، فقامت أم الفضل إلى عمود فضربته على رأسه وشجته ، وقالت : تستضعفه أن غاب سيده ، والله نحن مؤمنون منذ أيام كثيرة ، وقد صدق فيما قال : فانصرف ذليلا ، فو الله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته ، ولقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثا ما يدفناه حتى أنتن في بيته ، وكانت قريش تتقي العدسة وعدواها كما يتقي الناس الطاعون ، وقالوا : نخشى هذه القرحة ، ثم دفنوه وتركوه ، فهذا معنى قوله : ﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ .

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠ / ٦٠٥ .

وثالثها : الإخبار بأنه من أهل النار ، وقد كان كذلك لأنه مات على الكفر)[1] .

وقال الماوردى – رحمه الله – : (وهذه الآية تشتمل على أمرين :

أحدهما : وعيد من الله حق عليه بكفره .

الثاني : إخبار منه – تعالى – بأنه سيموت على كفره ، وكان خبره صدقا ، ووعيده حقا)[2] .

وقد استدل أهل السنة بهذه الآية على جواز التكليف بما لا يطاق ، بمعنى أن أبا لهب – لعنه الله – قد كلف بأن يؤمن بجميع ما جاء به النبي ﷺ من عند الله – تعالى – إجمالا ، لا تفصيلا ، ومن جملة ما جاء به النبي ﷺ أنه لا يؤمن ، ومثل هذا يقال: عن تكليف الكافرين المذكورين في قوله ﷻ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾[3] بالإيمان .

وإذا كان العلماء قد اتفقوا على عدم وقوع التكليف بما لا يطاق استدلالا بقوله – تعالى – : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[4] فإنهم اختلفوا في جوازه وعدم جوازه ، فذهب الحنفية والغزالي من الشافعية والمعتزلة إلى القول بمنعه ، وقال الأشعري ومن تابعه بجوازه ، والمراد بما لا يطاق على هذا أعم مما يكون ممتنعا في نفسه كالجمع بين الضدين ، أو ممكنا في نفسه خارجا عن قدرة العبد كخلق الأجسام .

وأما ما يمتنع – بناء على أنه تعالى علم خلافه وأراد خلافه – كإيمان الكافر وطاعة الفاسق فلا نزاع في جواز التكليف به ووقوعه ؛ لكونه مقدورا للمكلف في نفسه ، والله أعلم)[5] .

القراءات الواردة في الآية :

وفي ﴿ سَيَصْلَى ﴾ قراءات عديدة هي :

---

(١) مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٥٩ ، ٧٦٠ .

(٢) النكت والعيون ٤ / ٥٦٤ .

(٣) الكافرون / ١ .

(٤) البقرة / ٢٨٦ .

(٥) راجع في ذلك : حاشية زاده ٤ / ٧٠٨ ، روح المعاني ٢٩ / ٤٧٥ ، مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٦٠، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٥ / ٥٣٥ .

* قراءة الجمهور – وهى قراءة العامة – ﴿ سَيَصْلَى ﴾ – بفتح الياء –

* وسيُصَلَّى – بضم الياء وفتح الصاد وشد اللام – ، وسيُصْلى – بضم الياء وسكون الصاد – ، وهما شاذتان[١] .

ورجح القرطبي – رحمه الله – القراءة الأولى فقال : (والأولى هي الاختيار ؛ لإجماع الناس عليها)[٢] .

ولم يختلف القراء على قراءة قوله : ذات لهب بالفتح[٣] ، (واتفاقهم هذا دليل على أن الفتح أقوى من الإسكان كما في قوله : أبى لهْب – بالسكون – ؛ إذ الاستعمال للمفتوح أكثر ، وهو أشد اشتهارا من المسكن)[٤] .

❁❁❁

(١) راجع : مختصر شواذ القرآن ص ١٨٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٣٨ .

(٣) التيسير في القراءات السبع لأبى عمرو الداني ص ٢٢٥ .

(٤) الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها ٣ / ١٤٠٩ .

قوله – تعالى – : ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ .

قال البقاعي – رحمه الله – في ارتباط هذه الآية بما قبلها : (ولما أخبر الله ﷻ عنه بكمال التباب الذي هو نهاية الخسار ، وكان أشق ما على الإنسان هتك ما يصونه من حريمه حتى إنه يبذل نفسه دون ذلك لا سيما العرب ، فإنه لا يدانيهم في ذلك أحد زاده تحقيرا بذكر من يصونها معبرا عنها بما صدرها بارزا صورة وأشنعها فقال – مشيرا إلى أن خلطة غاية الخسار ، فإن الطبع وإن كان جيدا يسرق من الرديء ، فكيف إذا كان رديئا وإن أرضى الناس بما يسخط الله أعظم الهلاك – : ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾)[1] .

وهذا بيان لحال امرأته وما كانت تفعله مع رسول الله ﷺ ودعوته والمؤمنين ، واسمها أروى بنت حرب أخت أبي سفيان ، وأم جميل كنية لها ، وكانت عوراء – لعنها الله – .

قال الطاهر – رحمه الله – : (أعقب ذم أبي لهب ووعيده بمثل ذلك لامرأته ؛ لأنها كانت تشاركه في أذى النبي ﷺ وتعينه)[2] .

ولتحقيرها قيل : امرأته ، ولم يقل : زوجه .

ووصفها بـ ﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ لتمييزها عن غيرها من نسائه ، فقد قيل : (كان له امرأتان سواها فأراد الله – تعالى – ألا يظن ظان أنه أراد كل من كانت امرأة له ، بل ليس المراد إلا هذه الواحدة)[3] .

وثمة سبب آخر وهو أنه (لما حصل لأبي لهب وعيدٌ مقتبسٌ من كنيته جعل لامرأته وعيدٌ مقتبسٌ لفظه من فعلها وهو حمل الحطب في الدنيا ، فأنذرت بأنها تحمل الحطب في جهنم ليوقد به على زوجها ، وذلك خزي لها ولزوجها ؛ إذ جعل شدة عذابه على يد أحب الناس إليه ، وجعلها سببا لعذاب أعز الناس عليها)[4] .

---

(١) نظم الدرر ٨ / ٥٧٣ بتصرف يسير .
(٢) التحرير والتنوير ٣٠ / ٦٠٥ .
(٣) مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٦٣ .
(٤) التحرير والتنوير ٣٠ / ٦٠٥ .

وقد يقول قائل : (إن ذكر النساء لا يليق بأهل الكرم والمروءة ، فكيف يليق ذكرها بكلام الله ، ولا سيما امرأة العم ؟ الجواب : لما لم يستبعد في امرأة نوح وامرأة لوط بسبب كفر تينك المرأتين ، فلأن لا يستبعد في امرأة كافرة زوجها رجل كافر أولى)[١] .

والآية معطوفة علي الضمير المستكن في سيصلي ، أي : سيصلي ناراً ذات لهب، وستصلي امرأتُه – أيضاً – ناراً ذات لهب .

وفي المراد من قوله : ﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ أقوال أربعة :

أولها : ما قاله ابن عباس : أنها كانت تحمل الحطب ، أي : ما فيه شوك لتؤذى بإلقائه الرسول ﷺ وأصحابه ، فذمت بذلك ، وسميت حمالة الحطب[٢] .

الثاني : ما قاله ابن عباس – أيضاً – وغيره : أنها كانت تمشي بالنميمة بين الناس ؛ إذ يقال لمن يمشي بها : يحمل الحطب بين الناس ، أي : يوقد بينهم النائرة ، ويورث الشر .

الثالث : ما قاله ابن جبير : أنها حمالة الخطايا والذنوب ، من قولهم : يحطب علي ظهره إذا كان يكتسب الآثام والخطايا[٣] .

الرابع : وهو قول قتادة وغيره : أنها كانت تعير رسول الله بالفقر ، فعيرت بأنها كانت تحتطب[٤] .

والمعني علي القولين – الأول والرابع – حقيقي حيث كانت تحمل الحزمة من الشوك والحسك[٥] والسعدان[٦] فتنشرها بالليل في طريق رسول الله ﷺ وكانت تعير رسول الله ﷺ .

---

(١) مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٦٣ .
(٢) البحر المحيط ٨ / ٥٢٧ بتصرف يسير .
(٣) روح المعاني ٢٩ / ٤٧٢ ، البحر المحيط ٨ / ٥٢٧ ، ٥٢٨ .
(٤) مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٦٢ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٤٠ .
(٥) – بحاء وسين مهملتين مفتوحتين وكاف – شوك كبير .
(٦) – بفتح السين وبوزن المرجان – نبت من أطيب مراعى الإبل وله شوك يشبه حلمة الثدي .

قال ابن عطية – رحمه الله – : (وعلي هذا فحمالة معرفة يراد به الماضي)[١] أي : حملت الحطب وفعلت ذلك .

ومجاز علي القولين – الثاني والثالث – حيث استعير الحطب للنميمة في الثاني ، وللخطايا في الثالث بجامع الإحراق في كل .

قال ابن عطية : وقيل : (إن قوله : حمالة الحطب استعارة لذنوبها التي تحطبها على نفسها لآخرتها ، تقول : فلان يحطب على فلان وفى حبل فلان ، فكانت هي تحطب على المؤمنين وفى حبل المشركين ، وقال الشاعر :

إن بني الأدرم حمالو الحطب هم الوشاة في الرضي وفى الغضب)[٢] .

ورجح الإمام الطبري المعنيين الحقيقيين فقال – رحمه الله – : (وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال : كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ ؛ لأن ذلك هو أظهر معنى)[٣] .

ويترتب على هذا الرجحان تساؤل مفاده : أن امرأة أبى لهب كانت من بيت عز وشرف ، وسيادة وريادة ، فكيف يليق بها أن تحمل الحطب ؟

والجواب من وجهين :

الأول : أنه يحتمل أنها كانت مع كثرة مالها وشرفها فى نهاية البخل والخسة ، فكان يحملها بخلها على حمل الحطب بنفسها .

والثاني : يحتمل أنها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله ﷺ ولا ترى أنها تستعين في ذلك بأحد ، بل تفعله هي بنفسها[٤] .

القراءات الواردة في الآية :

وفي الآية قراءات شتي :

---

(١) المحرر الوجيز ٥ / ٥٣٥ .

(٢) المحرر الوجيز ٥ / ٥٣٥ .

(٣) جامع البيان ١٢ / ٢١٩ .

(٤) لباب التأويل ٦ / ٥٣٠ .

– قراءة الجمهور : ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ ﴾ برفع امرأته علي العطف – كما ذكرنا – ، أو أنها مبتدأ خبره حمالةُ الحطب على الرفع – أيضا – .

وبرفع حمالة – أيضا – على أنها صفة لامرأته في الدنيا – وقد كانت تحمل الحطب لإيذائه ﷺ – أو في الآخرة – باعتبار أنها ستحمله أيضا ليكون الجزاء من جنس العمل –

– وقرأ أبو حيوة وابن مقسم وغيرهما : ومريئته ، ومريته – بالتصغير فيهما بالهمز وبإبدالها ياء وإدغام ياء التصغير فيها –

– وقرأ أبو حيوة وابن مقسم – أيضاً – وغيرهما : حمالةً للحطب – بالتنوين في حمالة ، وبلام الجر في الحطب –

– وقرأ أبو قلابة : حاملةَ الحطب – علي وزن فاعلة مضافا – ، وعلي هذين الوجهين يكون النصب علي الذم ، أي : أذم حمالة الحطب .

وهذه القراءات المذكورة – عدا قراءة الجمهور – شاذة[١] .

– وقرأ عاصم – وحده – ﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ – بالنصب – .

(والوجه – في هذه الثلاثة[٢] – أنها صفة نصبت على الذم ؛ لأنها اشتهرت بذلك فصارت الصفة مصروفة عن إتباع ما قبلها بإضمار فعل ناصب ، كأنه قال : أذم أو أعيب أو أذكر)[٣] .

– وقرئ حمالة – بالرفع – علي أنها خبر وامرأته مبتدأ [٤] ، وقوله : ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ في موضع الحال من الضمير في حمالة .

أو خبر ثان ، أو أن ﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ نعت لامرأته ، والخبر قوله : ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾[٥] ، وقيل : غير ذلك .

---

(١) راجع : مختصر شواذ القرآن ص ١٨٣ ، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني ٢ / ٣٧٥ .

(٢) وهى قراءة حمالةً للحطب – بالتنوين – ، حاملةَ الحطب – على الإضافة – ، حمالةَ الحطب – بالنصب – .

(٣) الكتاب الموضح في وجوه القراءات ٣ / ١٤١٠ .

(٤) الكشاف ٤ / ٨١٥ ، البحر المحيط ٨ / ٥٢٧ ، روح المعانى ٢٩ / ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، حاشية زاده ٤ / ٧٠٨ .

(٥) المسد / ٥ .

قوله – تعالى – : ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾.

ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنها تبين مآل امرأة أبي لهب – لعنها الله – في الآخرة بعد بيان حالها في الدنيا ، ففي هذه الآية تصوير لحالها في نار جهنم وهو على نفس الصورة التي كانت تحمل فيها الحزمة من الشوك والأذى لتضعها في طريق الرسول ﷺ حتى يكون الجزاء من جنس العمل .

(والجيد : العنق ، وغلب في الاستعمال على عنق المرأة وعلى محل القلادة منه فقل أن يذكر العنق في وصف النساء في الشعر العربي إلا إذا كان عنقا موصوفا بالحسن ، وقد جمعهما امرؤ القيس في قوله : وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمعطل

قال السهيلي في الروض : والمعروف أن يذكر العنق إذا ذكر الحلي أو الحسن ، فإنما حسن هنا ذكر الجيد في حكم البلاغة ؛ لأنها امرأة والنساء تحلي أجيادهن ، وأم جميل لا حلي لها في الآخرة إلا الحبل المجعول في عنقها ، فلما أقيم لها ذلك مقام الحلي ذكر الجيد معه ، ألا ترى إلى قول الأعشى : يوم تبدي لنا قتيلة عن جيد أسيل تزينه الأطواق

ولم يقل : عن عنق .

وقول الآخر : وأحسن من عقد المليحة جيدها ، ولم يقل : عنقها ، ولو قال لكان غثا من الكلام)[1] .

والحبل : ما يربط به الأشياء التي يراد اتصال بعضها ببعض وتقيد به الدابة والمسجون كي لا يبرح من المكان .

وهو ضفير من الليف أو من سيور جلد في طول متفاوت على حسب قوة ما يشد به أو يربط في وتد أو حلقة أو شجرة بحيث يمنع المربوط به من مغادرة موضعه إلى غيره على بعد يراد .

والمسد – فى الأصل – يدل على الفتْل والجدْل والطي سواء كان حبلا أو غيره .

(١) التحرير والتنوير ٣٠ / ٦٠٦ .

قال ابن فارس – رحمه الله – : (الميم والسين والدال أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على جَدْل شَيءٍ وطَيِّه ، فالمَسَد : لِيفٌ يُتَّخذ من جريد النَّخل ، والمَسَدُ : حبلٌ يتَّخذ من أوبار الإبل ، قال : ومَسَدٍ أُمِرَّ من أيانَقٍ ، وامرأةٌ ممسودةٌ : مجدولة الخَلْق كالحبل الممسود غير مسترخية ، وعبارةُ بعضهم في أصله أنَّه الفَتْل ، والمَسَد : اللِّيف ؛ لأنَّ من شأنه أن يفتَلَ للحَبْل)[1] .

وفى القاموس[2] : المسْد : الفتل وإدآب السير ، و– محركة – : المحور من الحديد ، وحبل من ليف ، أو ليف المقل[3] ، أو من أى شيء كان ، أو المضفور المحكم الفتل ، والجمع مساد وأمساد .

وقوله : ﴿ حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ فيه قولان :

الأول: أنه يكون في الدنيا ، وعليه فالمراد به : حبل من ليف ، أو من ليف المقل، أو من جلود الإبل ، أو من أوبارها ، أو حبل من صوف ، وقال الحسن : هي حبال من شجر تنبت باليمن تسمى المسد ، وكانت تفتل .

الثاني: أنه في الآخرة ، والمراد به : حبل من نار ، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعاً ، تدخل مِن فيها ، وتخرج من دبرها ، ويلوي سائرها علي عنقها ، فتلت من حديد فتلا محكما ، وقال قتادة : قلادة من ودع ، والودع : خرز بيض تخرج من البحر تتفاوت في الصغر والكبر ، وقال سعيد بن المسيب : كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت : واللات والعزى لأنفقنها على عداوة محمد ، وهذا كله مما تعذب به في النار في الآخرة[4] ، وقيل : غير ذلك .

قال العلامة الفخر – رحمه الله – : (ذكر المفسرون وجهين :

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٥ / ٢٤٥ .

(٢) ١ / ٤٠٨ .

(٣) وهو شجر الدوم .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٤١ ، ٢٤٢ ، البحر المحيط ٨ / ٥٢٨ ، روح المعاني ٢٩ / ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

أحدهما : في جيدها حبل مما مسد من الحبال ؛ لأنها كانت تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون ، والمقصود بيان خساستها تشبيها لها بالحطابات إيذاء لها ولزوجها .

وثانيهما : أن يكون المعنى أن حالها يكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل الحزمة من الشوك ، فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم ، وفي جيدها حبل من سلاسل النار)[1] كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه .

وكل ما قيل في المراد من الحبل والمسد محتمل ومقبول ، قال الإمام الطبري – رحمه الله – : (وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : هو حبل جمع من أنواع مختلفة ، ولذلك اختلف أهل التأويل في تأويله ، ومما يدل على صحة ما قلنا في ذلك قول الراجز : ومسد أمر من أيانق صهب عتاق ذات مخ زاهق

فجعل إمراره من شتى ، وكذلك المسد الذي في جيد امرأة أبي لهب أمر من أشياء شتى من ليف وحديد ولحاء وجعل في عنقها طوقا كالقلادة من ودع ، ومنه قول الأعشى :

نمشي فتضرب بابها من دوننا غلقا صريف محالة الأمساد

يعني بالأمساد : جمع مسد ، وهي الحبال)[2] .

وقدم الخبر من قوله : ﴿ فِي جِيدِهَا ﴾ للاهتمام بوصف تلك الحالة الفظيعة التي عوضت فيها بحبل في جيدها عن العقد الذي كانت تحلي به جيدها في الدنيا فتربط بها إذ كانت هي وزوجها من أهل الثراء وسادة أهل البطحاء[3] .

ولشيخنا الخطيب كلام رائع علق به علي هذه الآية أحري بنا أن نسجله ونفيد منه، قال – رحمه الله – : (وفي تعليق هذا الحبل في جيد أم جميل تصوير بليغ معجز لشناعة هذه المرأة ، وفى تشويه خلقها .. فما أبشع " جيد " امرأة كان من شأنه أن

(١) مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٦٤ بتصرف يسير .
(٢) جامع البيان ١٢ / ٢٢١ .
(٣) التحرير والتنوير ٣٠ / ٦٠٧ .

يتحلى بعقد من كريم الجواهر يشد إليه حبل من ليف .. إنه إهانة لعزيز ، وإذلال لكريم .. وإن الإهانة للعزيز ، والإذلال للكريم لأقتل للنفس ، وأنكى للقلب من إهانة المهين ، وإذلال الذليل !

فكلمة " جيد " هنا مقصودة لذاتها ، إنه يراد بها ما لا يراد بلفظ رقبة ، أو عنق .. إنها تُنزل امرأة من عقائل قريش ، ومن بيوتاتها المعدودة فيها لتلقى بها فى عرض الطريق ، وهى تحمل على ظهرها حُزم الحطب ، وتشدها إلى جيدها بحبل من ليف !!

ولهذا فزعت المرأة ، وولولت حين سمعت هذا الوصف الذي وصفها القرآن الكريم به فخرجت – كما يقول الرواة – : في جنون مسعور تستعدى قريشا على النبي الذي هجاها – كما تزعم – هذا الهجاء الفاضح ، وعرضها عارية على الملأ – وحق للمرأة أن تفزع وأن تجن – فلقد كانت هذه الصورة التي رسمها القرآن لها وعرضها هذا العرض المذل المهين لها حديث قريش – نسائها ورجالها – ومادة تندرها ومعابثها زمنا طويلا ..

وأكثر من هذا : فإن النظم الذي جاءت عليه السورة الكريمة قد جاء في صورة تغرى بأن تكون أغنية يتغنى بها الولدان ، ويحدو بها الركبان ، ويتناشد بها الرعاة .. إنها تصلح أن تكون – في نظمها – غناء ، أو نشيدا ، أو حداء .. ولا نحسب إلا أنها كانت بعد أيام قليلة من نزولها نشيدا مرددا في طرقات مكة على ألسنة الصبيان ، وفى البوادي على أفواه الرعاة والحداة ، وأنها قد أخذت صورا وأشكالا من الأوزان والأنغام التي تولدت من نظمها العجيب المعجز ..

انظر .. ألا يمكن أن تنشد هكذا :

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّا
مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَا
سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ
وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي
جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ

ثم ألا يمكن أن تكون صوت حداء .. هكذا :

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَب
سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَب
فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَد

ثم ألا يمكن أن تكون نشيد رعاة .. هكذا :

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبْ
مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبْ
سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبْ
وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبْ
فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدْ ؟

وهكذا ، يمكن أن تتوالد منها الصور وتعدد)[1] .

وعلي أن المراد في جيدها حبل من نار في الآخرة لسائل أن يسأل : كيف يبقى الحبل المتخذ من المسد – أبدا – في النار ؟

والجواب : أنه كما يبقى الجلد واللحم والعظم – أبدا – في النار يبقى اللحم – أيضا – وقال البعض : إن ذلك المسد يكون من الحديد ، وهذا خطأ ؛ لأن المسد هو المفتول سواء كان من الحديد أو من غيره[2] .

وزاد القرطبي أمرا آخر فقال : (وقد اعترض فقيل : إن كان ذلك حبلها الذي تحتطب به فكيف يبقى في النار ؟ وأجيب عنه بأن الله ﷻ قادر على تجديده كلما احترق)[3]

فشأنه فى ذلك شأن تجديد جلود الكفار وتبديلهم جلودا غيرها فى نار جهنم – والعياذ بالله – قال – تعالى – : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ ﴾[4] .

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ٨ / ١٧٠٨ ، ١٧٠٩ .
(٢) مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٦٤ بتصرف .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٤٣ .
(٤) النساء / ٥٦ .

هذا فضلا عن أن الأمر في الآخرة – والدنيا أيضا – منوط بقدرة الله – تعالى – ولا حد لقدرته ، ولا نهاية لإرادته ﷻ قال ﷻ : ﴿ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[١] .

وإذا كان هذا هو جزاء امرأة أبى لهب – لعنها الله – في أخراها ، فقد لقيت حتفها – أيضا – في الدنيا من جنس عملها حيث ماتت مخنوقة بنفس الحبل الذي كانت تحمل به الشوك ؛ لتضعه في طريق الرسول ﷺ وأصحابه .....

قال بعض المفسرين : (كانت أم جميل تأتى كل يوم بإبالة[٢] من الحسك ، فتطرحها على طريق المسلمين ، فبينما هي حاملة ذات يوم حزمة أعيت ، فقعدت على حجر لتستريح ، فجذبها الملك من خلفها فأهلكها)[٣] بنفس الحبل الذي كانت تؤذى به رسول الله ﷺ وجماعة المؤمنين .

❁❁❁

(١) البقرة / ٢٨٤ .

(٢) وهى الحزمة الكبيرة .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٤٠ ، حاشية زاده ٤ / ٧٠٨ .

آثار نزول السورة

جاء في سياق كلام شيخنا الخطيب قبل السابق تصوير لحال امرأة أبى لهب – لعنهما الله – حين سمعت سورة المسد يقرأها رسول الله ﷺ ويتلوها الصحابة على أسماع مكة كلها ..... وأنه قد أصابها ذعار وهوس ، وسعار وجنون ..... وتتمة لتجسيد هذه الحال وما ترتب عليها يقول ابن إسحاق : (فذكر لي أن أم جميل حمالة الحطب حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ، ومعه أبو بكر الصديق ، وفي يدها فهر – أي بمقدار ملء الكف – من حجارة ، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر أين صاحبك ؟ قد بلغني أنه يهجوني ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ، أما والله واني لشاعرة ! ثم قالت : مذمما عصينا وأمره أبينا ، ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، أما تراها رأتك ؟ فقال : ما رأتني ، لقد أخذ الله ببصرها عني)[1] .

وروى البزار في مسنده[2] بإسناده عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله جالس ومعه أبو بكر ، فقال له أبو بكر : لو تنحيت لا تؤذيك يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : " إنه سيحال بيني وبينها " فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر ، فقالت : يا أبا بكر ، هجانا صاحبك ، فقال أبوبكر: لا ورب هذه البنية ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به[3] فقالت : إنك لمصدق ، فلما ولت قال أبو بكر – رحمة الله عليه – : ما رأتك ؟ قال : " لا ، ما زال ملك يسترني حتى ولت " .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٢٠٠ .

(٢) ١ / ٦٨ (١٥) وقال : وهذا الحديث حسن الإسناد .

(٣) وفى بعض الروايات : " فقال أبو بكر : لا ورب الكعبة ما هجاك " وقد حلف أبو بكر ﷺ بأنه ﷺ ما هجاها (بناء على انه من باب المعاريض ؛ لأن القرآن لا يسمى هجوا ، ولأنه كلام الله – تعالى – لا كلام الرسول ، ففيه دليل على جواز المعاريض ، والله أعلم) حاشية زاده ٤ / ٧٠٩ ، مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٦٣ .

وعقب صاحب الظلال على هذا الكلام الذي يصور حال امرأة أبى لهب – لعنهما الله تعالى – ويجسد نفسيتها الحاقدة بقوله – رحمه الله – : (فهكذا بلغ منها الغيظ والحنق ، من سيرورة هذا القول الذي حسبته شعرا – وكان الهجاء لا يكون إلا شعرا – مما نفاه لها أبو بكر وهو صادق ! ولكن الصورة الزرية المثيرة للسخرية التي شاعت في آياتها قد سجلت في الكتاب الخالد ، وسجلتها صفحات الوجود – أيضا – تنطق بغضب الله وحربه لأبي لهب وامرأته جزاء الكيد لدعوة الله ورسوله ، والتباب والهلاك والسخرية والزراية جزاء الكائدين لدعوة الله في الدنيا ، والنار في الآخرة جزاء وفاقا ، والذل الذي يشير إليه الحبل في الدنيا والآخرة – جميعا – ...)[1] .

وهكذا يكون الجزاء من جنس العمل ، فكما آذت امرأة أبى لهب – لعنها الله تعالى – الرسول ﷺ في الدنيا فقد عرفت مصيرها فيها ، وستلقى جزاءها في الآخرة ، وهو جزاء فريد بها حيث ستكون وسط أهل النار وحبلها من مسد ، ويراه الناس جميعا ، ولا يخفى حالها على أحد منهم .

ولله در الأحوص حين قال :

ما ذات حبل يراه الناس كلهمُ وسْط الجحيم فلا تخفى على أحد

ترى حبال جميع الناس من شعَرٍ وحبلها وسْط أهل النار من مسد[2]

وكفى بذلك ذلا وهوانا ، ووبالا وخسرانا ...

❁❁❁

(١) في ظلال القرآن للشهيد / سيد قطب ٦ / ٤٠٠١ .

(٢) راجع : إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه ص ٢١٦ .

دلالة السورة علي أن القرآن من عند الله ﷻ

إن المتأمل لهذه السورة الجليلة والواقف على تفسيرها يلحظ أنها تدل – دلالة قاطعة – على أن القرآن الكريم كلام الله – تعالى – المعجز ، وليس من عند محمد ﷺ .

وقد بين ذلك الشيخ الخطيب – رحمه الله – حيث قال : (وفي الإخبار عن أبى لهب وامرأته بأنهم من أهل النار ، وفى مواجهتهم بهذا الخبر ، ثم موتهم بعد هذا الكفر في هذا إعجاز من القرآن الذي ساق أبا لهب وامرأته إلى النار وهما حيان يرزقان .. ولو أن أبا لهب آمن بالله – ولو حتى عن نفاق – لأقام حجة قاطعة على كذب النبي ، وافتراء ما جاء به ؛ لأن النار التي توعدها الله إنما هي لكفره ، فلو أعلن الإيمان لما كان لهذا الوعيد حجة عليه ، بل كان حجة على القرآن بأنه مفترى ، ولكن أنى يكون هذا وقد قضى الله بعذابه فى جهنم ، ونزل القرآن بالخبر القاطع بهذا ؟

إنها كلمة واحدة كانت تخرج من فم أبى لهب أو امرأته بإعلان إسلامهما فيقضى بها على محمد ودعوته .. وهذه معجزة متحدية من معجزات القرآن الذي أمسك لسان الرجل والمرأة عن أن ينطقا بهذه الكلمة – بكلمة الإسلام – في أوضح صورة وأكملها وأصرحها كما جاءت بها سورة " الإخلاص " ، وتلك شهادة قائمة على الدهر بأن هذا القرآن كلام الله ، وأنه الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)[1] .

وعلى هذا فكون القرآن الكريم معجزة رسولنا ﷺ الخالدة التالدة أمر لا يرتاب فيه إنسان – فضلا عن عاقل – وصدق الله – تعالى – إذ يقول : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾[2] .

❁❁❁

(١) التفسير القرآني للقرآن ٨ / ١٧٠٩ ، ١٧١٠ .
(٢) الإسراء / ٨٨ .

دلالة السورة على نبوة سيدنا محمد ﷺ

وكما دلت السورة على أن القرآن من عند الله – تعالى – فقد دلت – أيضا – على نبوة سيدنا محمد ﷺ وصدقه الكامل التام في كل ما يبلغه عن ربه ﷻ حيث وقع كل ما أخبر به – مع أن المخبَر يسمع ويرى – وقد جلى ذلك بعض المفسرين – رحمهم الله تعالى –

قال ابن كثير – رحمه الله – : (قال العلماء : وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فإنه منذ نزل قوله – تعالى – : ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾[1] فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان لم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لا باطنا ولا ظاهرا ، لا مسرا ولا معلنا ، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة)[2] .

وقال القرطبي – رحمه الله – : (والحكم ببقاء أبي لهب وامرأته في النار مشروط ببقائهما على الكفر إلى الموافاة ، فلما ماتا على الكفر صدق الإخبار عنهما ، ففيه معجزة للنبي ﷺ فامرأته خنقها الله بحبلها ، وأبو لهب رماه الله بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال بعد أن شجته أم الفضل)[3] .

فصدق قول رسولنا ﷺ وما أخبر به في كل وقت وعن أي شيء في الدنيا والدين أو العاجلة والآجلة ؛ لأنه كما قال عنه ربه – جل وعلا – : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[4] .

۞۞۞

(١) المسد / ٣ : ٥ .
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ / ٥٦٥ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٤٣ .
(٤) النجم / ٣ ، ٤ .

من الأسرار البلاغية في السورة الكريمة

تضمنت السورة الجليلة ألواناً بلاغية عديدة ، منها :

* **المجاز المرسل** في قوله ﷻ : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ حيث أطلق الجزء – وهو اليد – وأراد الكل – وهو العمل – .

* **الجناس** بين قوله ﷻ : ﴿ أَبِي لَهَبٍ ﴾ ، ﴿ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ فقد تشابه اللفظان أبو لهب ، ولهب في النطق ، واختلفا في المعني ، فالمراد من ﴿ أَبِي لَهَبٍ ﴾ هو كنيته – لعنه الله – والمراد من ﴿ لَهَبٍ ﴾ وصف للنار التي سيعذب بها في الآخرة .

* **الاستعارة** في قوله : ﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ حيث استعير حمل الحطب للنميمة بين الناس والإيقاع بينهم بجامع الإحراق في كل .

* **توافق الفواصل** بين قوله : ﴿ وَتَبَّ ﴾ ، ﴿ كَسَبَ ﴾ ، ﴿ لَهَبٍ ﴾ ، ﴿ الْحَطَبِ ﴾ مراعاة لرؤوس الآيات .

❁❁❁

فقه السورة الكريمة

نزلت السورة الجليلة منذ ستة عشر قرناً من الزمان وأخبرت عن مصير رأس كبير من رؤوس الكفار وصنديد من صناديدهم هو أبو لهب عبد العزي بن عبدالمطلب وامرأته أروى بنت حرب – لعنهما الله تعالي – .

وقد جاء بيان هذا المصير لكل منهما في الدنيا والآخرة ، وذلك في خمس آيات فحسب قال ﷻ : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾[1] .

أما مصير أبي لهب فتجسده الآيات الثلاثة الأولي .

الثنتان الأوليان تبينان حاله في الدنيا ، والثالثة تبين عقابه وجزاءه في الآخرة .

وأما مصير امرأته فتبينه الآيتان الأخيرتان في الدنيا والآخرة – أيضاً – وكما قيل : إن الجزاء من جنس العمل ، فلقد كان أبو لهب وامرأته – لعنهما الله – من أشد الناس إيذاء وعداوة وحقداً وكرهاً وبغضاً لرسول الله ﷺ وللمؤمنين الذين آمنوا به ولدعوته التي جاء يدعو الناس إليها ، وزاد الطين بلة أنه كان عم الرسول ﷺ ، كما أنه اتخذ هذا الموقف العدائي هو وامرأته تجاه رسول الله ﷺ والمؤمنين والدعوة من أول يوم أمر فيه الرسول ﷺ بالجهر بدعوته ، وسبب نزول السورة يوقفنا علي هذا .

يقول شيخنا عبد الكريم الخطيب – رحمه الله – : (أبو لهب كان أبرز معلم من معالم الجاهلية التي واجهتها الدعوة الإسلامية بما كان عليه هذا الجهول من طيش طاغ ، وضلال مبين ..

ومع أنه كان عم النبي ﷺ وكان مما تقضى به التقاليد العربية الجاهلية الانتصار للقريب – ظالما أو مظلوما ، كما كان ذلك شأنهم – فإن هذا الشقي كان من أسفه السفهاء على النبي ، وأشدهم عدوانا عليه ، وأكثرهم أذى له ، حتى إنه – وعلى غير تقاليد الجاهلية – يدخل معه امرأته في هذه العداوة ويجرها جرا إلى تلك المعركة التي يخوضها ضد النبي ، ولهذا كان الرجل الوحيد من قريش الذي ذكره القرآن باسمه ، وأعلن في العالمين عداوته لله ، وغضب الله عليه ، ووقوع بأسه وعذابه به، وذلك ليكون

---

(١) المسد / ١ : ٥ .

لعنة على كل لسان إلى يوم الدين ، لا يذكر اسمه إلا ذكر مدموغا باللعنة ، مرجوما بالشماتة والازدراء ، تتبعه امرأته مشدودة إليه بحبل من مسد كما كانت مشدودة إليه في الدنيا بحبل عداوتهما للنبي وحسدهما له)[1] .

والقارئ لكتب الحديث والسيرة والتاريخ يلفي أن حياة أبي لهب وامرأته ما كانت إلا لعداء الرسول ودينه وإيذائه ﷺ ومحاربته ..... فصار ذلك لهما دأباً وطبعاً وحالاً وديدنا .....

روى الإمام أحمد في مسنده[2] بسنده عن حُسَيْن بْن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ قَالَ سَمِعْتُ رَبِيعَةَ بْنَ عَبَّادٍ الدِّيلِيَّ قَالَ : " إِنِّي لَمَعَ أَبِي رَجُلٌ شَابٌّ أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتْبَعُ الْقَبَائِلَ وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ أَحْوَلُ وَضِيءٌ ذُو جُمَّةٍ يَقِفُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْقَبِيلَةِ وَيَقُولُ يَا بَنِي فُلَانٍ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ آمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تُصَدِّقُونِي حَتَّى أُنْفِذَ عَنْ اللَّهِ مَا بَعَثَنِي بِهِ فَإِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَقَالَتِهِ قَالَ الْآخَرُ مِنْ خَلْفِهِ يَا بَنِي فُلَانٍ إِنَّ هَذَا يُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسْلُخُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَحُلَفَاءَكُمْ مِنْ الْجَنِّ بَنِي مَالِكِ بْنِ أُقَيْشٍ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنْ الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالَةِ فَلَا تَسْمَعُوا لَهُ وَلَا تَتَّبِعُوهُ فَقُلْتُ لِأَبِي مَنْ هَذَا قَالَ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ " .

وحين أجمع بنو هاشم بقيادة أبي طالب على حماية النبي ﷺ ولو لم يكونوا على دينه ؛ تلبية لدافع العصبية القبلية ، خرج أبو لهب على إخوته ، وحالف عليهم قريشا، وكان معهم في الصحيفة التي كتبوها بمقاطعة بني هاشم وتجويعهم كي يسلموا لهم محمداً ﷺ .

وكان قد خطب بنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم لولديه قبل بعثة النبي ﷺ فلما كانت البعثة أمرهما بتطليقهما حتى يثقل كاهل محمد بهما !

يقول صاحب الظلال – رحمه الله – : (وهكذا مضى هو وزوجته أم جميل يثيرانها حربا شعواء على النبي ﷺ وعلى الدعوة ، لا هوادة فيها ولا هدنة ، وكان بيت أبي لهب قريبا من بيت رسول الله ﷺ فكان الأذى أشد ، وقد روي أن أم جميل كانت تحمل

(١) التفسير القرآني للقرآن ٨ / ١٧٠٣ ، ١٧٠٤ .
(٢) ٣٢ / ٢٣٢ (١٥٤٥٠) .

الشوك فتضعه في طريق النبي ، وقيل : إن حمل الحطب كناية عن سعيها بالأذى والفتنة والوقيعة)[١] .

والعجيب أن الجزاء – علي بعد زمان ومكان واختلاف أحواله في الدنيا والآخرة – قد تناسقت ألفاظه وتناسبت تمام التناسب مع جوها وسياقها ..... فلا يلحظ القارئ ولا يجد إلا الإعجاز البليغ والجناس الرائع في سورة من أقصر سور القرآن .....

يقول الشهيد سيد قطب – رحمه الله – : (وفي الأداء التعبيري للسورة تناسق دقيق ملحوظ مع موضوعها وجوها ، نقتطف في بيانه سطورا من كتاب : " مشاهد القيامة في القرآن " نمهد بها لوقع هذه السورة في نفس أم جميل التي ذعرت لها وجن جنونها :

أبو لهب ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ ستصلاها وفي عنقها حبل من مسد .. تناسق في اللفظ ، وتناسق في الصورة ، فجنهم هنا نار ذات لهب يصلاها أبو لهب وامرأته تحمل الحطب وتلقيه في طريق محمد لإيذائه – بمعناه الحقيقي أو المجازي – والحطب مما يوقد به اللهب ، وهي تحزم الحطب بحبل ، فعذابها في النار ذات اللهب أن تغل بحبل من مسد ليتم الجزاء من جنس العمل ، وتتم الصورة بمحتوياتها الساذجة : الحطب والحبل والنار واللهب يصلى به أبو لهب وامرأته حمالة الحطب ! وتناسق من لون آخر في جرس الكلمات مع الصوت الذي يحدثه شد أحمال الحطب وجذب العنق بحبل من مسد اقرأ : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ تجد فيها عنف الحزم والشد الشبيه بحزم الحطب وشده ، والشبيه كذلك بغل العنق وجذبه ، والشبيه بجو الحنق والتهديد الشائع في السورة .

وهكذا يلتقي تناسق الجرس الموسيقي مع حركة العمل الصوتية بتناسق الصور في جزئياتها المتناسقة بتناسق الجناس اللفظي ومراعاة النظير في التعبير ، ويتسق مع جو السورة وسبب النزول ، ويتم هذا كله في خمس فقرات قصار ، وفي سورة من أقصر سور القرآن)[٢] .

---

(١) في ظلال القرآن ٦ / ٤٠٠٠ .

(٢) في ظلال القرآن ٦ / ٤٠٠٠ ، ٤٠٠١ .

ويقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب – بعد أن ذكر إعجاز بعض آي السورة – : (وأكثر من هذا فإن النظم الذي جاءت عليه السورة الكريمة قد جاء في صورة تغرى بأن تكون أغنية يتغنى بها الولدان ، ويحدو بها الركبان ، ويتناشد بها الرعاة .. إنها تصلح أن تكون – في نظمها – غناء ، أو نشيدا ، أو حداء .. ولا نحسب إلا أنها كانت بعد أيام قليلة من نزولها نشيدا مرددا في طرقات مكة على ألسنة الصبيان ، وفى البوادي على أفواه الرعاة والحداة ، وأنها قد أخذت صورا وأشكالا من الأوزان والأنغام التي تولدت من نظمها العجيب المعجز ..)[1] .

وبعد : فأبو لهب وامرأته نموذج حي – كما أخبر القرآن – لكل من يعادي الرسول ﷺ ودينه والمؤمنين في أي زمان ومكان ..... وقد لقي جزاءه – بل وعرفه– هو وامرأته في الدنيا ، كما سيلقيان – أيضا – في الآخرة .....

وكل من فعل فعلهما ، وصنع صنيعهما حيال الإسلام ورسوله ﷺ والمسلمين سيكون جزاؤه ومصيره نفس الجزاء والمصير .....

يقول الإمام البقاعى – رحمه الله – : (وحاصل هذه السورة أن أبا لهب قطع رحمه ، وجار عن قصد السبيل ، واجتهد بعد ضلاله في إضلال غيره ، وظلم الناصح له الرءوف به الذي لم يأل جهدا في نصحه على ما تراه من أنه لم يأل هو جهدا في أذاه ، واعتمد على ماله وأكسابه ، فهلك وأهلك امرأته معه ومن تبعه من أولاده)[2] .

وما أكثر المعادين في هذا الزمان عداوة تشبه – أو تفوق – عداوة أبي لهب وامرأته – لعنهما الله تعالى –

والواقع خير شاهد علي هذا ، فكم من دعاة نفوا خارج البلاد ، وكم من دعاة ذاقوا ويلات العذاب ، وكم من دعاة قضوا حياتهم في غيابات السجون ، وكم من دعاة شنقوا وماتوا ظلماً وعدواناً ..... والغرض من ذلك ليس الدعاة أنفسهم ، وإنما القضاء علي الدعوة ، والقضاء علي الدين ، والقضاء علي الإسلام ، والقضاء علي المسلمين ..... فما أشبه الليلة بالبارحة .....

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ٨ / ١٧٠٨ ، ١٧٠٩ .

(٢) نظم الدرر ٨ / ٥٧٤ .

وما حدث لأبي لهب وامرأته ليس بعجيب ولا غريب ولا بعيد أن يحدث لغيرهم ..... فالجزاء من جنس العمل ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾[1] ، ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾[2] .

وأخيرا : فهذا درس جليل ينبغي أن نعيه ونلتفت إليه ..... ونفهمه ونقف عليه ، قال ﷻ : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] ، وقال ﷻ – أيضاً – : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[4] .

❁❁❁

(١) الزلزلة / ٧ ، ٨ .
(٢) إبراهيم / ٢٠ .
(٣) الذاريات / ٥٥ .
(٤) ق / ٣٧ .

فهرس المراجع والمصادر

* القرآن الكريم

* كتب التفسير :

- إعراب القرآن وبيانه للدرويش = محيى الدين ، ط دار الإرشاد للشئون الجامعية ، حمص ، سورية ، الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .
- التفسير القرآني للقرآن للخطيب = عبد الكريم ، ط دار الفكر العربي .
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ الدكتور / وهبة الزحيلى ، ط دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سورية .
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي = محمد بن أحمد ت ٦٧١هـ ، نشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م .
- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للجمل = سليمان بن عمر ت ١٢٠٤هـ ، ط عيسى البابى الحلبي ، مصر .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى = محمود بن عمر ت ٥٢٨هـ ، رتبه وضبطه وصححه / مصطفى حسين أحمد، نشر دار الريان للتراث ، القاهرة ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية = عبد الحق بن غالب ت ٥٤٦هـ ، تح / عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .
- النكت والعيون للماوردى = على بن حبيب ت ٤٥٠هـ ، تح الشيخ / خضر محمد خضر ، ط دار الصفوة ، الكويت ١٩٩٢م .
- بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادى = محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ ، تحقيق أ / محمد على النجار ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، الثالثة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

- تفسير البحر المحيط لأبى حيان = محمد بن يوسف ت ٧٤٥هـ ، دراسة وتحقيق وتعليق / مجموعة من العلماء ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
- تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور = محمد الطاهر ، نشر دار سحنون ، تونس ١٩٩٧م .
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير = إسماعيل بن كثير ت٧٧٤هـ ، ط مكتبة دار التراث ، القاهرة .
- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري = محمد بن جرير ت ٣١٠هـ ، ط دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي للشهاب الخفاجى = أحمد بن محمد بن عمر ت ١٠٦٩هـ ، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه / عبد الرزاق المهدي ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
- حاشية زاده على تفسير البيضاوي لشيخ زاده = محيى الدين ، ط دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي = عبد الرحمن ت ٩١١هـ ، نشر : دار الفكر ، بيروت ١٩٩٣م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسى = شهاب الدين السيد محمود ت ١٢٧٠هـ ، قرأه وصححه / محمد حسين العرب ، ط دار الفكر ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكانى = محمد بن على ت ١٢٦٠هـ ، ط عالم الكتب .
- في ظلال القرآن للشهيد / سيد قطب ، ط دار الشروق ، الطبعة الشرعية الثانية والعشرون ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

- لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن = علاء الدين على بن محمد ت ٧٢٥هـ ، ضبطه وصححه / عبد السلام محمد على شاهين ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان .
- معالم التنزيل للبغوى = محمد الحسين بن مسعود ت ٥١٦هـ بهامش لباب التأويل للخازن ، ضبطه وصححه / عبد السلام محمد على شاهين ، ط دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان .
- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي = محمد بن عمر بن الحسين ت ٦٠٦هـ، نشر دار الغد العربي ، القاهرة ، الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعى = برهان الدين أبى الحسن إبراهيم ابن عمر ت ٨٨٥هـ ، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه / عبد الرزاق غالب المهدي ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

*** كتب القراءات :**

- التيسير في القراءات السبع لأبى عمرو الداني = عثمان بن سعيد ت ٤٤٤هـ ، عنى بتصحيحه أوتويرتزل ، ط استانبول ١٩٣٠م ، مكتبة المثنى ، بغداد .
- الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبى مريم = نصر بن على بن محمد ت ٥٦٥هـ ، تح ودراسة د / عمر حمدان الكبيسى ، ط مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر والبحث العلمي ، مصر ، الثانية ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م .
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني = أبى الفتح عثمان ، تح / على النجدي ناصف ، د / عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .
- مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ت ٣٧٠هـ ، ط مكتبة المتنبي، القاهرة .

*** كتب الحديث الشريف :**

- الجامع الصحيح المختصر للبخاري = محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦هـ ، تح د / مصطفى ديب البغا ، ط دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت .
- صحيح مسلم = مسلم بن الحجاج ت ٢٦١هـ ، تح / محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- مسند أحمد للإمام أحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ ، نشر مؤسسة قرطبة ، مصر .

*** كتب اللغة :**

- لسان العرب لابن منظور = محمد بن مكرم ، نشر دار صادر ، بيروت ، الأولى .
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني = حسين بن محمد ت ٥٠٢هـ ، تح / محمد سيد كيلانى ، ط دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .